فَتْحُ الحَمِيدِ

فِي شَرْحِ التَّوْحِيدِ

«أوسع شروح "كتاب التوحيد" للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب»

تأليف

الشيخ عثمان بن عبد العزيز بن منصور التميمي

ت: ١٢٨٢ هـ

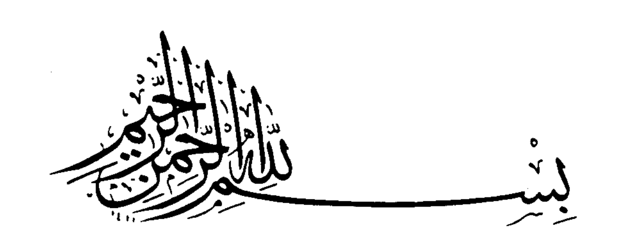
تحقيق

د. سعود بن عبد العزيز العريفي
رئيس قسم العقيدة بجامعة أم القرى

د. حسين بن جليعب السعدي
أستاذ العقيدة المساعد بجامعة الكويت

المجلد الأول

دار عالم الفوائد
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

يطبع لأول مرة

عن ثلاثة نسخ خطية

فَتْحُ الحَمِيدِ

فِي شَرْحِ التَّوْحِيدِ

أصل تحقيق هذا الكتاب رسالتان علميتان تقدم بهما المحققان إلى قسم العقيدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة لنيل درجة الدكتوراة وقد أجيزت الرسالتان بتقدير (ممتاز)

الطبعة الأولى ١٤٢٥

دار عالم الفوائد
للنشر والتوزيع
مكة المكرمة ص.ب ٢٩٢٨
هاتف ٥٥٠٥٢٠٥ فاكس ٥٥٤٢٣٠٩

الصف والإخراج دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع

المقـــدّمة

إن الحمد لله، نحمده ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربه، وتركنا على المحجة البيضاء، لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات الله وسلامه عليه أبدًا إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن «كتاب التوحيد» للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ، من أصفى كتب العقيدة المصنفة على منهج أهل السنة والجماعة، وقد وُضع له من القبول ما حمل العلماء على التسابق إلى شرحه وتدريسه والتعليق عليه وبيان مقاصده وتحفيظه للطلاب، وما يزال هذا المتن المبارك عمدة لدراسة التوحيد عند أهل السنة كافة.

وقد تتابعت شروحه في الظهور عبر الطباعة والنشر منذ أوائل القرن الرابع عشر الهجري، حتى تجاوزت في زماننا هذا العشرين شرحًا مطبوعًا[1]، حصل بها من النفع العظيم، ومحاصرةِ الشرك ومظاهره في المجتمعات الإسلامية ما لا ينكره إلا مكابر.

إلا أن شرحًا من بين أوائل شروح كتاب التوحيد هو أوسعها

(١) كنا قد أعددنا بعد هذه المقدمة تمهيداً بعنوان: كتاب التوحيد وشروحه، إلا أنا عدلنا عن إيرادها بعد الوقوف على كتاب «عناية العلماء بكتاب التوحيد» لعبدالإله الشايع؛ فقد وفّى بالغرض.

وأغزرها مادة، لم يزل حبيسًا في عالم المخطوطات، لا يعلم به إلا قليلٌ من العلماء وطلاب العلم المعتنين بقضايا التوحيد، ذلكم هو كتاب «فتح الحميد في شرح التوحيد»، للشيخ عثمان بن عبدالعزيز بن منصور، الذي وقع اختيارنا على دراسته وتحقيقه بالمناصفة[1] لنيل درجة الدكتوراه.

لقد ظل هذا الشرح النفيس رهينًا لملابسات ومواقف زمنية، فرضت عليه لمدة طويلة حجابًا من الإعراض والتجاهل، سيتجلى للقارىء الكريم من خلال الدراسة الآتية ما قد يبرره، فقد كان مؤلفه ـ رحمه الله ـ معدودًا في خصوم الدعوة الإصلاحية التي بعثها الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ، الذين يرون أنها قد جاوزت سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو سبيل الدعاة، إلى سبيل تكفير المسلمين وقتالهم، واستباحة دمائهم وأموالهم، ونحت بذلك منحىً خارجيا يدخلها تحت ما ورد في الخوارج الأوائل من الأحاديث والآثار.

إلا أن لصاحب هذا الشرح وجهةً أخرى يدافع فيها عن هذه الدعوة وإمامها، وكان أكثر ما مثل هذه الوجهة عنده هذا الكتاب، الذي جاء صافيًا من حيث الجملة، غير متعارض مع مقاصد المتن، محققًا لأغلبها، فزال بذلك المحذور الأعظم من إخراجه.

وقد وقع التردد أولَ الأمر في تحقيق هذا الكتاب بعد استعراض ما ذُكر عنه وعن مؤلفه في قسم الردود من كتاب «الدرر السنية في الأجوبة

---

(١) حقق النصف الأول سعود العريفي إلى نهاية الباب ٢٢، وحقق البقية حسين السعيدي، وقد قام الأول بالتنسيق بين التحقيقين.

النجدية»[1] من مخالفة لمنهج صاحب المتن، إلا أنا جعلنا الفيصل في الإقدام على تحقيقه من عدمه قراءةَ الكتاب، وما إن استعرضناه حتى ألفيناه كتابًا رصينًا متينًا ثريَّ المادة، لا يخلو من هِنَات لا تمنع الاستفادة منه وإخراجَه للدارسين، وزاد من قناعتنا بجدوى البحث فيه ودراسة شخصية مؤلفه ما اعتراها من مواقف محيّرة حقا، هي أخصب مجال للتحقيق والدراسة والبحث والتنقيب، فمدار إشكالاتها وتناقضاتها قضيةُ التوحيد، وما تفرع عنها من مواقف عملية، وذلك من صلب التخصص.

هذا ويمكن تلخيص دواعي تحقيق هذا الكتاب في ثلاثة أمور:

الأول ـ ما تميز به الكتاب من وفرة في المادة العلمية، وزيادةٍ على غيره من الشروح، فهو مشحون بالآيات المفسرة، والأحاديث والآثار المتعلقة بالعقيدة، والنقول الكثيرة عن العلماء، ولا شك أن اطّلاع دارسي «كتاب التوحيد» على هذه المادة الغزيرة سيوسع مداركهم، ويجعلهم أكثر إحاطة بقضايا التوحيد.

الثاني ـ حاجة هذا الشرح في كثير من المواطن إلى التحرير والتعقب والتصويب والاستدراك، في ضوء ما قرره أئمة السنة، والمحققون من علماء الدعوة السلفية، ولا شك أن إخراج الكتاب الآن كذلك، خير من خروجه مجردًا فيما بعد ـ أو موجهًا وجهةً لم يقصدها المؤلف أصلاً ـ وهذه سنة متبعة فيما ألفه المخالفون في غير مواطن النزاع، وظهر أثرها فيه، كما هو الحال في «السحب الوابلة» لابن حميد، ومختصر شرح السفّارينية لابن سلوم، وهما من خصوم دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب[2].

---

(١) وهو مجموعة تضم رسائل وكتبا لأشهر علماء الدعوة الإصلاحية.

(٢) ومثل كتب القصيمي التي ألفها قبل ردته.

الثالث ـ أن ما اشتهر عن مؤلفه من تناقض وتردد في موقفه من الدعوة الإصلاحية حال دون انتفاع الناس بشرحه هذا، وهذا يستدعي دراسة وافية عن المؤلف ومؤلفاته، تكشف حقيقة موقفه، وتتبين صحة ما نسب إليه، ونرجو أن نكون قد وُفقنا إلى شيء من ذلك؛ فقد قدمنا للكتاب بدراسة عن المؤلف والكتاب، بدأناها بنبذة عن عصر المؤلف، ثم تعرضنا لحياته العلمية ومؤلفاته وعقيدته وعلاقته بخصوم الدعوة الإصلاحية وما أثارت حوله من شبهات، ثم عرّفنا بالكتاب ببيان: سبب تأليفه، موارده، المآخذ عليه، مكانته بين الشروح، نسخه ومنهج تحقيقه.

وقد توخينا في دراستنا وتحقيقنا للكتاب الحق والإنصاف العدل، دون أي اعتبارات غير علمية، في الحكم على مواقف المؤلف وآرائه، فإن وفقنا فذلك فضل الله، وإلا فنسأله العفو والمغفرة لنا ولإخواننا المسلمين.

وفي ختام هذه المقدمة نوجه شكرنا إلى كل من أسهم في إخراج هذا الكتاب، ابتداءً بالأستاذ الدكتور علي العلياني الذي أشرف على هذا العمل، وكل من الأساتذة: الدكتور ناصر العقل، والدكتور عبدالله الدميجي، والدكتور سعود الصقري، الذين تفضلوا مشكورين بمناقشة هذا العمل وتقويمه، كما نشكر كل من ساهم في إخراج الكتاب، سائلين المولى جل وعلا أن يتولى مثوبتهم، والحمد لله أولاً وآخرًا، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

القسم الأول

الدراسة

الفصل الأول
عصر المؤلف

أولاً: الحالة السياسية (١٢٠٠ـ ١٢٨٢هـ):

كان أهل نجد قبيل ظهور الدعوة الإصلاحية على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، متعادين متفرقين، ليس لهم إمام يجمعهم، ولا شريعة تسودهم، الغلبة فيهم للقوي، يقتل بعضهم بعضا، ويغتصب بعضهم أموال بعض، لكل قرية أمير لا يستطيع أن يوفر الأمن لنفسه، فضلاً عن أن يوفره لأفراد رعيته، فانتشر الخوف والرعب، وكثر السلب والنهب في أرجاء البلاد النجدية.

ولما ظهرت دعوة التوحيد في نجد على يد الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وقام بنصرتها الأمير محمد بن سعود، وقام الجهاد في سبيل الله، ساد الأمن في البلاد، وقلت المخاوف، وتقلصت تلك الإمارات، وخاصة في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود[١] رحمه الله، حيث دخلت عموم البلدان النجدية وما جاورها من البلدان في طاعته، وفي عهده ولد الشيخ عثمان بن منصور رحمه الله، وامتد به العمر إلى قبيل انقضاء العصر الذهبي للدولة السعودية الثانية، ونظرًا لذلك فسوف نتعرض للأحداث الواقعة في الدولة السعودية الأولى والثانية، وبيان الأئمة الذين عايشهم الشيخ عثمان بن منصور، على وجه الاختصار.

---

(١) تأتي ترجمته عند الكلام على عصره.

الدولة السعودية:

اعتاد من تناولوا تاريخ الدولة السعودية بالكتابة أن يقسموا الأدوار التي مرت بها الدولة السعودية إلى ثلاثة أدوار:

*** الدور الأول ـ أو الدولة السعودية الأولى:**

وذلك بداية من المعاهدة التاريخية التي تمت بين الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهما الله تعالى، وذلك من سنة ١١٥٧هـ، إلى سنة ١٢٣٣هـ حينما هدمت الدرعية على يد إبراهيم باشا.

*** الدور الثاني ـ أو الدولة السعودية الثانية:**

وتبدأ من سنة ١٢٤٠هـ حيث نجح الإمام تركي بن عبدالله في استعادة الحكم والقضاء على بقية جنود الحاميات العسكرية التابعة لمحمد علي باشا، وينتهي بانتصار الأمير محمد بن رشيد على الإمام عبدالرحمن بن فيصل سنة ١٣٠٩هـ.

*** الدور الثالث ـ أو الدولة السعودية الثالثة:**

وتبدأ باستيلاء الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود رحمه الله على الرياض سنة ١٣١٩هـ إلى يومنا هذا[١].

---

(١) انظر هذا التقسيم: تاريخ المملكة العربية السعودية، د. عبدالله العثيمين (١/ ٧)، تاريخ الدولة السعودية، د. مديحة درويش (ص ٩)، الدولة السعودية الثانية، حصة السعدي (ص ١٣ـ ١٤).

أولاً: الدولة السعودية الأولى:

وقد استمرت ما يقارب (٧٥) عامًا تولى الحكم فيها أربعة من الأمراء وهم:

(١) الإمام محمد بن سعود: وذلك من سنة ١١٥٨هـ إلى سنة ١١٧٩هـ.

(٢) الإمام عبدالعزيز بن محمد: وذلك من سنة ١١٧٩هـ إلى سنة ١٢١٨هـ.

(٣) الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد: وذلك من سنة ١٢١٨هـ إلى سنة ١٢٢٩هـ.

(٤) الإمام عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز: وذلك من سنة ١٢٢٩هـ إلى سنة ١٢٣٣هـ[١].

وحيث إن الشيخ عثمان بن منصور رحمه الله ولد في بداية القرن الثالث عشر الهجري في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد، لذا فسوف نبدأ بالحديث عنه وعن أهم الأحداث التي في عهده.

---

(١) انظر أحداث هذه الدولة: روضة الأفكار، ابن غنام (١/ ٧٥ـ ٢٠٦)، عنوان المجد، ابن بشر (١/ ١ـ ٢١٨)، الدولة السعودية الأولى، د. عبدالرحيم عبدالرحيم، تاريخ المملكة، د. عبدالله العثيمين (١/ ٧٩ـ ٢٠٧)، تاريخ الدولة السعودية، د. مديحة درويش (ص ١٩ـ ٥٣).

عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد (١١٧٩ـ ١٢١٨هـ)

التعريف به:

هو الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود ولد سنة ١١٣٢هـ، وتولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة ١١٧٩هـ، كان رحمه الله من أئمة الهدى، كثير الخوف من الله لسانه رطب من ذكر الله، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ينفذ الحق ولو في أهل بيته وعشيرته، شجاعًا مهابًا، من العلماء العاملين، محبًا للعلم والعلماء، اغتاله رافضي في جامع الدرعية، طعنه وهو يصلي بالمسلمين صلاة العصر، فحمل إلى قصره فلم يلبث أن توفي رحمه الله تعالى وذلك سنة ١٢١٨هـ[١].

أهم الأحداث في عهده:

(١) الاستيلاء على الرياض، وهروب دهام بن دواس[٢] ومن معه منها، وبذلك تكون الدولة السعودية تخلصت من أقوى خصم

---

(١) انظر في ترجمته: عنوان المجد، ابن بشر (١/ ١٢٥)، الأعلام، الزركلي (٤/ ٢٧)، صقر الجزيرة، أحمد عبدالغفور عطار (١/ ٦٤).

(٢) أمير بلدة الرياض، اتصل به الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود يدعوانه دعوة الحق، فأبى وأعرض عن الحق، وأظهر عداءه، واضطهد كل من اتبع التوحيد من أهل بلده، حارب الدعوة نحو سبع وعشرين سنة.
انظر: روضة الأفكار، ابن غنام (١/ ٨٩)، عنوان المجد، ابن بشر (١/ ٦١ـ ٦٢).

نجدي لها، وأصبح في إمكانها أن ترسل جيوشها إلى مناطق بعيدة، دون أن تخشى ضرب مؤخرة جيوشها، أو قطع مواصلاتها، وذلك سنة ١١٨٧هـ[١].

(٢) وفاة الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى[٢].

(٣) دخول كثير من بلدان الجزيرة العربية تحت نفوذ الدولة السعودية الأولى، حيث شمل نفوذ الدولة نجداً، والأحساء، ومعظم بلدان الخليج العربي، وأطراف الحجاز، والشام، والعراق[٣].

(٤) نتيجة لتوحيد البلاد عاش الناس في رغد من العيش، وساد الأمن جميع النواحي[٤].

(٥) تطهير البلاد الواقعة تحت نفوذ الدولة من مظاهر الشرك، وهدم القباب التي على القبور والمزارات الشركية، في نجد والحجاز والعراق وغيرها من البلدان، والتحذير من كل ما ينافي إخلاص العبودية لله تعالى[٥].

---

(١) انظر: الدولة السعودية الأولى، د. عبدالرحيم عبدالرحيم (ص ٦٩)، تاريخ نجد، صالح القاضي (ص ٥٠).

(٢) انظر: عنوان المجد: ابن بشر (١/ ٨٩)، روضة الأفكار، ابن غنام (١/ ١٨٠).

(٣) انظر: عنوان المجد، ابن بشر (١/ ٨٩)، تاريخ المملكة، د. عبدالله العثيمين (١/ ١٠٤ـ ١٠٥).

(٤) انظر: عنوان المجد، ابن بشر (١/ ٨٩)، تاريخ المملكة، د. عبدالله العثيمين (١/ ١٠٤).

(٥) انظر: عنوان المجد، ابن بشر (١/ ٨٩)، الدولة السعودية الأولى، =

(٦) بدأت في عهده الحروب مع الدولة العثمانية، حيث حاربت الجيوش السعودية جيوش والي العراق، وكذلك وقع القتال بينه وبين والي الحجاز من قبل الدولة العثمانية[1].

= عبدالرحيم عبدالرحيم (ص ١٥٤، ٢١٧).

(١) انظر: روضة الأفكار، ابن غنام (١/ ١٧٥ـ ١٧٨، ١٩٠ـ ١٩٢، ١٩٥ـ ٢٠٢)، تاريخ المملكة، صلاح الدين المختار (١/ ٦٤ـ ٧٦).

عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز (١٢١٨ـ ١٢٢٩هـ)

هو الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، الملقب بسعود الكبير، ولد سنة ١١٦١هـ وقيل غير ذلك، انعقدت له البيعة بعد مقتل أبيه، كان على قدر كبير من العلم والأدب والشجاعة والذكاء والفصاحة، قاد الجيوش في حياة والده، وبعد توليه شؤون الحكم، ولا يعلم له معركة هزم فيها، توفي سنة ١٢٢٩هـ عليه رحمة الله، وكانت ولايته نحو إحدى عشرة سنة[١].

أهم الأحداث في عهده:

(١) كثرت البلدان التابعة للدولة السعودية في عهده، وشمل نفوذ الدولة معظم أنحاء الجزيرة العربية، حيث امتدت رقعة الدولة من أطراف عمان ونجران واليمن وعسير، إلى شواطىء الفرات وبادية الشام، ومن الخليج العربي إلى البحر الأحمر[٢].

(٢) القضاء على مظاهر الشرك ومنع الأمور المخالفة للدين، ومن ذلك منع دخول المحامل الشامية والتركية والمصرية في موسم الحج إلى بلاد الحرمين، إلا بشرط اجتناب كل ما ينافي السنة، أو يخدش

---

(١) انظر ترجمته في: عنوان المجد، ابن بشر (١/ ١٦٧)، البدر الطالع، الشوكاني (١/ ١٨١ـ ١٨٢)، تاريخ بعض الحوادث، ابن عيسى (ص ١٣٩).

(٢) انظر: تاريخ الدولة السعودية، د. مديحة درويش (ص ٤٧)، تاريخ المملكة، صلاح الدين المختار ١٠/ ٨٦ـ ١٠٥، ١٣٩).

كمال التوحيد[1].

(٣) بعد ظهور الدولة السعودية وانتصارها على أعدائها، ودخول معظم الجزيرة في سلطانها ومنها الحرمان الشريفان، كلفت الدولة العثمانية محمد علي والي مصر بالقضاء على الدولة السعودية، وفي عهد سعود الكبير بدأت الحملات المصرية[2].

(٤) نجاح محمد علي في الاستيلاء على بعض البلاد كمكة والطائف والمدينة وغيرها[3].

(٥) مرت على البلاد النجدية وما يليها سنوات قحط وغلاء، استمرت ما يقارب ست سنوات مات فيها كثير من الناس والبهائم[4].

---

(١) انظر: الدولة السعودية الأولى، د. عبدالرحيم عبدالرحيم (ص ١٥٤)، تاريخ الدولة السعودية، د. مديحة درويش (ص ٤٧).

(٢) انظر: عنوان المجد، ابن بشر (١/ ١٥٧)، تاريخ نجد، صالح القاضي (ص ٥٢)، تاريخ الدولة السعودية، د. مديحة درويش (ص ٤٩).

(٣) انظر: تاريخ الدولة السعودية، د. مديحة درويش (ص ٥٠)، تاريخ ابن ضويان، إبراهيم بن ضويان (٦٤ـ ٦٥).

(٤) انظر: عنوان المجد، ابن بشر (١/ ١٣٥)، تاريخ ابن ضويان، إبراهيم بن ضويان (ص ٦٠).

عهد الإمام عبدالله بن سعود (١٢٢٩ـ ١٢٣٣هـ)

التعريف به:

هو الإمام عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، تولى الأمر بعد وفاة والده سنة ١٢٢٩هـ، وكان ذا سيرة حسنة، مقيمًا للشرائع، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، كثير الصمت، حسن السمت، باذلاً للعطاء، شجاعًا عند ملاقاة العدو، ثابتًا في مصابرة الأعداء، استمر حكمه أربع سنوات في صراع مع الترك، حتى سقطت الدرعية، وقتل رحمه الله سنة ١٢٣٤هـ[١].

أهم الأحداث في عهده:

قضى عبدالله بن سعود جل فترة حكمه في صراع مع الحملة المصرية التي أرسلت بأمر من الدولة العثمانية، وأغلب الأحداث في عهده لها صلة كبيرة بحربه مع الأتراك، لذلك سوف نتكلم في هذه الأحداث بنقاط موجزة.

(١) في سنة ١٢٣٠هـ وقع الصلح بين الترك وبين الدولة السعودية ممثلة بالإمام عبدالله بن سعود على إيقاف الحرب بينهم، وعلى أن يرفع عبدالله بن سعود يده عن الحجاز، ويرفع الترك أيديهم عن نجد وأعمالها، ويحج كل منهما آمنًا[٢].

---

(١) انظر: عنوان المجد، ابن بشر (١/ ٢١١)، الأعلام، الزركلي (٤/ ٨٩)، تاريخ عجائب الآثار، الجبرتي (٣/ ٥٩٥ـ ٥٩٦).

(٢) انظر: عنوان المجد، ابن بشر (١/ ١٨٥)، تاريخ ابن ضويان، إبراهيم الضويان (ص ٦٨)، تاريخ المملكة العثيمين (١/ ١٩٩).

(٢) وفي سنة ١٢٣١هـ حرّض رجالٌ من حاضرة نجد وباديتها محمد علي واليَ مصرَ على غزو الدولة السعودية وزخرفوا له ذلك، فنقض الصلح، وجهز جيشًا عظيمًا معظمه من عساكر الدولة التركية بالإضافة إلى جنود من الشام والعراق، وأسندت قيادة ذلك الجيش إلى إبراهيم[١] باشا[٢].

(٣) سقطت بعض البلدان النجدية في بداية الحملة في أيدي الأتراك، وانضم البعض الآخر لهم ووالاهم، مما ساعد الأتراك على متابعة مسيرهم إلى الدرعية[٣].

(٤) حاصر إبراهيم باشا الدرعية أكثر من ستة أشهر، وبعد قتال شديد اضطر الإمام عبدالله بن سعود إلى أن يخرج إلى إبراهيم باشا ليفاوضه حول إنهاء الحرب، واتفق الطرفان على ذلك، شريطة أن يسلم عبدالله بن سعود نفسه لإبراهيم ليبعث به إلى مصر ومنها إلى الآستانة عملاً برغبة السلطان، واشترط الإمام عبدالله بن سعود الأمن والسلامة لسكان الدرعية، وألا يخربها إبراهيم باشا، وتعاهدوا على ذلك، إلا أن إبراهيم لم يف بوعده وخان العهد كما

---

(١) هو إبراهيم بن محمد علي والي مصر، أو ابن زوجته، تولى على مصر بعد أبيه في حياته، توفي سنة ١٢٦٤هـ في القاهرة.
انظر: الأعلام، الزركلي (١/ ٧٠).

(٢) انظر: عنوان المجد، ابن بشر (١/ ١٨٧)، الدولة السعودية الأولى، عبدالرحيم عبدالرحيم (ص ٣٤٠)، تاريخ الدولة السعودية، د. مديحة (ص ٤٩).

(٣) انظر: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ابن عيسى (ص ١٤٢)، تاريخ البلاد العربية السعودية، عهد عبدالله بن سعود، العجلاني (ص ١٢٤، ١٣٥، ٤٤ـ ٥٣)، تاريخ المملكة، صلاح الدين مختار (١/ ١٤٨ـ ١٥٤).

سيأتي[1].

(٥) بُعث بالإمام عبدالله بن سعود إلى محمد علي حاكم مصر، الذي أعجب برباطة جأشه وشجاعته، ثم أرسل من هناك إلى عاصمة الدولة العثمانية، وحوكم في الآستانة محاكمة صورية، ثم قتل في شهر صفر سنة ١٢٣٤هـ رحمه الله[2].

(٦) ارتكب إبراهيم باشا بعد استقراره في الدرعية أعمالاً إجرامية، حيث قتل وعذب عددًا من أعيان الدرعية، من أهل العلم والفضل.

ومن ذهب ضحية جوره وجور قواد جيشه الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى، حيث ضربت على مسامعه آلات المعازف إرغامًا له بها، وأخرج إلى المقبرة ومعه العساكر، حيث أمرهم الباشا بإطلاق النار عليه[3].

(٧) ومن الأمور البشعة التي خالف فيها إبراهيم باشا عهده للإمام عبدالله بن سعود: نفي كل من وقعت عليه يده من أمراء الدرعية وعلمائها وذويهم إلى مصر، فنقل منهم ما يقارب من أربعمائة، فيهم الذرية والنساء.

---

(١) انظر: عنوان المجد، ابن بشر (١/ ٢٠٩)، تاريخ المملكة، د. عبدالله العثيمين (١/ ٢٠٥ـ ٢٠٧)، الدولة السعودية، الأولى، د. عبدالرحيم (ص ٣٥٢ـ ٣٥٥).

(٢) انظر: عنوان المجد، ابن بشر (١/ ٢١٠)، تاريخ المملكة، د. العثيمين (ص ٢٠٦)، تاريخ الدولة السعودية، د. مديحة درويش (ص ٥٢).

(٣) انظر: عنوان المجد، ابن بشر (١/ ٢١٢)، تاريخ المملكة، د. العثيمين (ص ٢١١).

كذلك قام بهدم مدينة الدرعية، وأمر أهلها أن يرحلوا عنها، وقطع نخيلها وشجرها، وأشعل في بيوتها النيران، وبذلك انتهت الدولة السعودية الأولى[1].

---

(١) انظر: عنوان المجد، ابن بشر (١/ ٢١٥)، الدرعية العاصمة الأولى، عبدالله بن خميس (ص ٣٩٠ـ ٣٩١)، تاريخ البلاد العربية السعودية ـ عهد عبدالله بن سعود، منير العجلاني (ص ١٥١).

ثانيًا: الدولة السعودية الثانية

انسحب إبراهيم باشا بجنوده من نجد في صفر سنة ١٢٣٥هـ بعد أن ترك بعض الحاميات من الجيش المصري في المدن النجدية تحت إمرة بعض قواده[١]، وبعد انسحابه دبت في نجد الفوضى السياسية، وتجددت الضغائن بين زعمائها، وسيطر الخوف على كثير من سكانها لاختلال الأمن، واضطراب الأوضاع، فكثر القتل والسلب والنهب، وتفشت المنكرات، يقول ابن بشر مصورًا تلك الأوضاع:

«... وكانت هذه السنة كثر فيها الاضطراب والاختلاف ونهب الأموال، وقتل الرجال، وتقدم أناس، وتأخر آخرون، وذلك بحكمة الله سبحانه وقدرته... وانحل فيها نظام الجماعة والسمع والطاعة، وعُدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا يستطيع أحد أن ينهى عن المنكر أو يأمر بطاعة، وعُمل بالمحرمات والمكروهات جهرًا، وليس للطاعات ومن عمل بها قدر، وجر الرباب والغناء في المجالس، وسفت الذواري على المجامع والمدارس[٢]، ... وسُل سيف الفتنة بين الأنام، وصار الرجل في وسط بيته لا ينام، وتعذرت الأسفار بين البلدان، وتطاير شرر الفتن في الأوطان، وظهرت دعوى الجاهلية بين العباد...»[٣].

---

(١) انظر: الدولة السعودية الثانية، حصة السعدي (ص ٤٢)، النهضات الحديثة في جزيرة العرب، محمد عبدالله ماضي (ص ٨١).

(٢) يعني أنها هُجرت وأُهملت حتى ملأتها الرياح الذارية بالرمال.

(٣) انظر: عنوان المجد، ابن بشر (١/ ٢١٢ـ ٢١٣).

نتيجة لهذه الأوضاع بات عدد غير قليل من أبناء البلاد النجدية يتوقون إلى الخلاص من الحالة المزرية التي وصلوا إليها.

وقد وُجدت محاولات عديدة لإعادة البلاد على ما كانت عليه من الدين والأمن والرخاء[1]، كان آخر هذه المحاولات ما قام به الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، وكان قد فر إلى بلدة الخرج ـ جنوب الرياض ـ عند تسليم الدرعية لإبراهيم باشا. وقد استطاع تركي بتوفيق من الله ـ سبحانه وتعالى ـ القضاء على حاميات محمد علي المتواجدة في نجد، فكانت نتيجةُ هذه المحاولة قيامَ الدولة السعودية الثانية، التي امتدت من سنة ١٢٣٥هـ إلى سنة ١٣٠٩هـ.

وقد حكم خلال هذه الفترة كل من:

(١) الإمام تركي بن عبدالله من سنة ١٢٣٥هـ إلى سنة ١٢٤٩هـ.

(٢) الإمام فيصل بن تركي وكان حكمه على فترتين:

الأولى: من سنة ١٢٤٩هـ إلى سنة ١٢٥٤هـ.

الثانية: من سنة ١٢٥٩هـ إلى سنة ١٢٨٢هـ.

(٣) الإمام عبدالله بن فيصل من سنة ١٢٨٢هـ إلى سنة ١٣٠٧هـ.

(٤) الإمام عبدالرحمن بن فيصل من سنة ١٣٠٧هـ إلى سنة ١٣٠٩هـ[2].

---

(١) انظر عن هذه المحاولات: تاريخ المملكة، د. عبدالله العثيمين (١/ ٢١٥ـ ٢٢٠)، تاريخ الدولة السعودية، د. مديحة درويش (ص ٥٧ـ ٥٨).

(٢) انظر: تاريخ المملكة، د. عبدالله العثيمين (١/ ٢٠٩ـ ٤ـ٣)، تاريخ الدولة السعودية، د. مديحة درويش (ص ٥٧ـ ٧٣)، الدولة السعودية الثانية، حصة السعدي.

وحيث إن الشيخ عثمان بن منصور قد عاصر بداية الدولة السعودية الثانية، ولم يُتوفَّ إلا في نهاية ولاية الإمام فيصل بن تركي في سنة ١٢٨٢هـ، فسوف نقصر الحديث على عهد الإمام تركي، وابنه الإمام فيصل رحمهم الله جميعًا.

عهد الإمام تركي بن عبدالله (١٢٣٥ـ ١٢٤٩هـ)

التعريف به:

هو الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، كان من الذين فروا من المصريين بعد هدم الدرعية، تولى الإمامة بعد ابن ابن عمه مشاري بن سعود[١]، وكان رحمه الله شجاعًا مقدامًا، كثير الخوف من الله، عادلاً في الرعية، دانت له البلاد النجدية والشرقية، واستمر في حكمه، إلى أن قتله ابن أخته مشاري بن عبدالرحمن[٢] سنة ١٢٤٩هـ[٣].

---

(١) هو مشاري بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، كان من الذين فروا من قبضة الترك عند هدم الدرعية. تولى الإمارة بعد أسر أخيه الإمام عبدالله بن سعود، ولكن لم يستقم له الأمر حيث قبض عليه ابن معمر وسلمه للترك ومات في السجن سنة ١٢٣٥هـ.

انظر: الأعلام، (٧/ ٢٢٦)، صقر الجزيرة، أحمد عبدالغفور عطار (١/ ١٩٦).

(٢) هو مشاري بن عبدالرحمن بن حسن بن مشاري بن سعود، قدم من مصر سنة ١٢٤٢هـ على الإمام تركي بن عبدالله فأكرمه، فطمع مشاري بالإمامة فلم يجد من يناصره فلما علم الإمام بما أراد، اعتذر منه مشاري فرضي عنه، ولكن لم يلبث مشاري أن دبر قتل الإمام تركي بن عبدالله، ولم تدم مدة حكم مشاري إلا أربعين يومًا حيث قضى عليه الإمام فيصل بن تركي وذلك سنة ١٢٤٩هـ.

انظر: الأعلام، الزركلي (٧/ ٢٢٦)، تاريخ ملوك آل سعود، ابن هذلول (ص ١٩ـ ٢٠).

(٣) انظر: تاريخ ملوك آل سعود، ابن هذلول (ص ١٨ـ ١٩)، الأعلام، الزركلي =

أهم الأحداث في عصره:

(١) بعد جهود عظيمة تمكن الإمام تركي بن عبدالله رحمه الله من إجلاء بقية رجال الحاميات العسكرية التابعة لحاكم مصر من البلاد، ساعده في ذلك انضمام بعض الأمراء، وتطلع كثير من النجديين إلى وجود سلطة تحقق لهم الأمن والوحدة.

استقر الإمام تركي في الرياض، التي أصبحت عاصمة دولته الجديدة، ولم يمر عامان على جلاء القوات الغازية عن نجد، واستقرار تركي بن عبدالله في الرياض، إلا وقد بايعته البلدان النجدية كلها[١].

(٢) لما دخلت معظم البلاد تحت حكم الإمام تركي، ودانت له بالطاعة والولاء أخذ يكاتب من كان في البلاد المصرية من العلماء والأمراء، الذين وُضعوا في مصر تحت الإقامة الجبرية، حيث قدم عليه سنة ١٢٤١هـ مجموعة، منهم الشيخ العلامة عبدالرحمن بن حسن حفيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمة الله تعالى على الجميع ـ ففرح به الإمام فرحًا عظيمًا، كما فرح بمقدمه عامة المسلمين، فحل محل جده محمد بن عبدالوهاب في إدارة الشؤون الدينية في الدولة وإبداء المشورة في تسيير أمورها العامة[٢].

= (٢/ ٨٤).

(١) انظر: عنوان المجد، ابن بشر (١/ ١٧)، تاريخ المملكة، د. العثيمين (١/ ٢٢٤).

(٢) انظر: تاريخ المملكة، د. عبدالله العثيمين (١/ ٢٢٥)، الدولة السعودية الثانية، حصة السعدي (ص ٥٨).

(٣) في سنة ١٢٤٢هـ استطاع الإمام فيصل بن تركي رحمه الله الهروب من مصر والقدوم على والده الإمام تركي، وكان مقدمه عاملاً مهمًا في استقرار الأوضاع في هذا العهد، حيث عاضد والده في أعماله، فقاد الجيوش، وقاتل الخصوم، كما ناب عن والده أثناء غيابه وانشغاله[١].

(٤) في سنة ١٢٤٥هـ تم إخضاع الأحساء للحكم السعودي مرة أخرى، وأخرج زعماء بني خالد من المنطقة الشرقية في معركة فاصلة سميت بـ«السبية» لكثرة ما سبي فيها من الأموال، والإبل، والغنم، والأمتعة[٢].

(٥) زين بعض ضعفاء الإيمان لمشاري بن عبدالرحمن قتل خاله الإمام تركي بن عبدالله، وقالوا: أنت أحق بالحكم منه، وكان من قبل حاقدًا على خاله حينما عزله عن إمارته[٣]، ووافق كلٌّ ذلك طمعَه بالملك، فأمر أحد عبيدِه بقتل الإمام تركي فقُتل، وطلب من الناس مبايعته فبايعوه خوفًا على أنفسهم، فلم يلبث سوى أربعين يومًا حيث قضى عليه الإمام فيصل بن تركي، وكان ذلك سنة

---

(١) انظر: عنوان المجد، ابن بشر (٢/ ٣٢)، الدولة السعودية الثانية، حصة السعدي (ص ٦٧).

(٢) انظر: تاريخ المملكة، د. عبدالله العثيمين (١/ ٢٢٦)، تاريخ نجد، صالح القاضي (ص ٦٧).

(٣) وكان قد عينه الإمام على بلدة منفوحة، وكان سبب عزله وصول خبر إلى الإمام بأنه يريد قتله.

انظر: الدولة السعودية الثانية، حصة السعدي (ص ٥٩).

١٢٤٩هـ[١].

وقد رثى الإمامَ تركيًا ابنُ منصور بقصيدة أظهر فيها ولاءه للدعوة وأتباعها[٢]، أولها:

أبرق بدا من جانب الشرق يُكشَفُ يذكّر أُلآفا وللدمـــع يُنشِـفُ

ومنها:

ترى لابن عبدالله تركيٍّ صولةً تُوُرِّثَها من والد الخير تُعرفُ
وعمٌّ وجدٌّ قوّما الدين بيننا محمدُ مع عبدِالعزيز المخلّفُ
أئمــةُ صــدقٍ يقتفــون نبيَّهــم عليه سلام الله غضٌّ مضعفُ

ومنها:

يوالون شيخًا للمشايخ قدوةً إمامٌ لهم من شِرعة الدين يغرفُ
محمدُ نجمُ الدين والعـلَمُ الـذي به يقتدي في حِندِس الجهل مُسدفُ[٣]
لـه أنجـمٌ زهـرٌ تغـالـى تـراثـه مـن الشـرعـة الغـراء لا تتكلـفُ
أولئك أصحاب النبي وحزبُه يوالون ربًّا لمن والاه يلطفُ
أبو حسنٍ[٤] هو الشيخ فينا وإنه لبحـر خضـم زاخـر يتقصـفُ

ومنها:

---

(١) انظر: تاريخ ابن ضويان، إبراهيم الضويان (ص ٩٠)، الدولة السعودية الثانية، حصة السعدي (ص ٥٩).
(٢) ذكرها بتمامها ابن بشر في «عنوان المجد»: ٢/ ١١٨- ١٢١.
(٣) مسدف: من كان في السدفة، وهي الظلام.
(٤) كنية الشيخ عبدالرحمن بن حسن.

هم أصدقاء القرب والود إنهم على كل حال للشريعة موقفُ

ومنها:

وقد كان قبل اليوم آباؤهم لنا رؤوسًا على دين النبي تَصَرَّفُ

عهد الإمام فيصل بن تركي
(الفترة الأولى ١٢٥٠ـ ١٢٥٤هـ)
(الفترة الثانية ١٢٥٩ـ ١٢٨٢هـ)

التعريف به:

هو الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، كان ممن حُمل إلى مصرَ بعد هدم الدرعية، وتمكن من الفرار، فقدم على والده فساعده، وقاد الجيوش وفتح البلدان، تولى الإمامة بعد القضاء على قاتل أبيه مشاري بن عبدالرحمن، وبقي إمامًا إلى أن قَبض عليه الأتراك، وسُجن بمصر سنة ١٢٥٩هـ، ثم تمكن من الفرار من سجنه، وعاد إلى نجد واستعاد الحكم ثانية، واستمر على ذلك حتى تُوفي عام ١٢٨٢هـ، يعد من أعظم حكام آل سعود، يتميز بقوة الشخصية وبذكاء واسع، وبشجاعة فائقة، وكان عادلاً محبًا للعلم والعلماء، عليه رحمة الله[١].

أهم الأحداث في عهده:

(١) بعد أن قضى الإمام فيصل بن تركي على قاتل أبيه مشاري بن عبدالرحمن بايعه الناس بالإمامة، ولكن لم يستقر له الأمر أكثر من أربع سنوات، إذ انزعج العثمانيون ومحمد علي من قيام حكم

---

(١) انظر: نبذة تاريخية عن نجد، ضاري بن فهد الرشيد (ص ٣٥ـ ٤٩)، الأعلام، الزركلي (٥/ ١٦٤).

الإمام فيصل بن تركي، حيث أرسلوا الحملات المتوالية على البلاد النجدية للقضاء على الحكم السعودي، وساعد تلك الحملة بعض القبائل التي خرجت عن طاعة الدولة، فاشتد ساعد الأتراك وضعف موقف الإمام فيصل.

وبعد قتال طويل اضطر الإمام فيصل إلى التسليم، حيث رُحّل إلى مصر وسُجن هناك، وبذلك انتهت الفترة الأولى من حكمه[1].

(٢) في الفترة التي قضاها الإمام فيصل بن تركي في سجنه بمصر، شملت الفتنة البلاد ، حيث وقعت عدة حروب بين النجديين فيما بينهم، كما وقعت حروب بين النجديين والأتراك، وكثر السلب والنهب والقتل بين الناس.

وبعد هزيمة محمد علي على أيدي الدول الكبرى، انسحبت قواته من الجزيرة العربية وبلاد الشام، تنفيذا لمعاهدة لندن الموقعة في سنة ١٢٥٦هـ، والقاضية بجلاء قواته عن بلاد الشام والجزيرة العربية[2].

(٣) وفي سنة ١٢٥٩هـ تمكن الإمام فيصل بن تركي بمساعدة بعض أقارب محمد علي[3]، من مغادرة سجنه في مصر، والقدوم إلى

---

(١) انظر: الدولة السعودية الثانية، حصة السعدي (ص ٧١)، تاريخ المملكة، صلاح الدين مختار (١/ ٣٠٤ـ ٣١٨).

(٢) انظر: الدولة السعودية الثانية، حصة السعدي (ص ٧١ـ ٧٤)، تاريخ المملكة، صلاح الدين مختار (١/ ٣٠٤ـ ٣١٨).

(٣) هو حفيد محمد علي باشا، عباس باشا.
انظر: تاريخ المملكة، د. عبدالله العثيمين (١/ ٢٥٨).

جبل شمر، وبمساعدة أمير الجبل[1]، بدأ خطواته التي أدت إلى القضاء على إمارة ابن ثنيان[2]، وبويع بالإمامة، واستقام له الأمر ودخلت كثير من البلدان تحت طاعته وحكمه، فسكنت الفتنة، واستقامت الأمور، وعاش الناس في أمن واطمئنان حتى توفاه الله سنة ١٢٨٢هـ[3].

ولعل من نافلة القول أن نشير إلى أن الصراعات العسكرية التي كانت تخوضها الدعوة إنما كانت تحت راية الجهاد والتوحيد، ضد المعاندين المشركين، والكفار المرتدين، ممن أبوا الدخول في دعوة التوحيد، أو دخلوا فيها ثم انقلبوا عليها، كما هو ظاهر من أدنى تأمل في تاريخي الدعوة: «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال

---

(١) هو الأمير عبدالله بن رشيد الشمري، مؤسس إمارة آل رشيد في مدينة حائل كان صديقًا للإمام فيصل بن تركي وهو الذي ساعده في قتل قاتل أبيه، ولي إمارة حائل للإمام فيصل، ولما هرب الإمام فيصل من مصر وقدم نجداً آزره وناصره، توفي سنة ١٢٦٣هـ.

انظر: الأعلام، الزركلي (٤/ ١٠٧)، نبذة تاريخية عن نجد، ضاري الرشيد (ص ٣٥ـ ٤١).

(٢) هو عبدالله بن ثنيان بن سعود، كان شجاعًا مهيبًا، استطاع القضاء على حكم الأتراك وإخراجهم من نجد فدانت له البلاد من سنة ١٢٥٧هـ إلى سنة ١٢٥٩هـ، حيث قضى الإمام فيصل بن تركي على إمارته، وسجن ومات في سجنه، وصلى عليه الإمام فيصل بن تركي رحمه الله.

انظر: الأعلام، الزركلي (٤/ ٧٥)، تاريخ ملوك آل سعود، ابن هذلول (ص ٢٥ـ ٢٦).

(٣) انظر: الدولة السعودية الثانية، حصة السعدي (ص ٧٩ـ ٨٧)، تاريخ المملكة، د. عبدالله العثيمين (١/ ٢٦٣ـ ٢٦٥).

الإمام وتعداد غزوات **ذوي الإسلام**»، لمؤرخ الدعوة حسين بن غنام، تلميذ الإمام المجدد، و«عنوان المجد في تاريخ نجد» لابن بشر، فمن عبارات ابن غنام[1]:

- غزا المسلمون «ثرمدا»... فدمر المسلمون المزارع وانقلبوا راجعين.
- ... وأخذ المسلمون أغنامهم ـ لما تزايد شر عثمان بن معمر على أهل التوحيد...، فلما تحقق أهل الإسلام ذلك، تعاهد على قتله نفر..، فلما انقضت صلاة الجمعة قتلوه في مصلاة بالمسجد، في رجب سنة ١١٦٣هـ.
- وفي شوال من هذه السنة (١١٦٥هـ) ارتد أهل «حريملا»..
- وفي أواخر هذه السنة (١١٦٦هـ) ارتد أهل منفوحة، ونبذوا عهد المسلمين.
- وصارت البلدة (حريملا) فيئا من الله، ودورها ونخيلها غنيمة للمسلمين...، ثم أقبل عبدالعزيز بالأموال والغنائم إلى الدرعية، فقسمها الشيخ محمد بن عبدالوهاب متبعاً بذلك سنة رسول الله وما كان يصدر من السلف.
- وفي سنة ١١٦٩هـ رفع الله عن أهل «القويعية» الشرك، وهداهم إلى التوحيد، فوفدوا على الشيخ والأمير محمد في الدرعية، فبايعوا على الإسلام، والتزام السمع والطاعة، ولقد صدقوا في تلك البيعة ووفوا، فلم ينخلعوا منها، ولم ينقضوا عهدهم، وكان أول من اهتدى منهم

---

(١) انظر تاريخ ابن غنام: ١/ ٨٩ـ ١٠٥، تحرير ناصر الدين الأسد.

ووفد على الشيخ والأمير: ناصر[١] بن جمّاز العَرِيفي، وسعود بن حمد.

- وخرب المسلمون زروع «منفوحة»، ثم غزوا «جلاجل».. وأخذوا بعض الأغنام.

ومن عبارات ابن بشر وهي ألين من عبارات ابن غنام:

- غزا المسلمون الخرج.

- سار عبدالعزيز بجنود المسلمين، وقصد آل حبيش من العجمان، وهم في صبحا المعروفة قرب سدير، فأغار عليهم وأخذ عليهم إبلا كثيرة، وقتل من الأعراب عدة رجال[٢].

في ظل هذه الأحداث الدامية، التي لابد للإنسان العادي فضلاً عن العالم الأديب من التأثر بها، والتفاعل معها، نشأ ابن منصور، وقد كان أثرها فيه واضحًا كما يبدو من كتاباته وما سُجل عنه، إلا أن هذا الأثر كان ذا لونين متباينين، ففي الوقت الذي نراه فيه يبكي «الدرعية» وما جرى على أهلها من آل سعود وآل الشيخ من الإجلاء إلى مصر، ويستبشر بقدوم الأمير تركي بعد ذلك، فيقول ضمن مرثيته له:

فلما ذوى منهم غصون وابتلوا ... بنقل عنيف بالعساكر يُكنفُ
أتـاح لنـا ربـي الإلـهُ بفضلـه ... عن الفتنة السودا إمامًا يؤلّفُ
إمـامَ الهـدى تـركـي لله درُّه ... على الدين قوامًا لمن يتعسفُ

ونراه يروي شواهد سيرهم لخواصه وتلاميذه ويشيد بها، كما جاء في بعض حديثه لتلميذه المؤرخ ابن بشر، حيث حدث عنه بقصتين

---

(١) توفي عام ١٢٠٤هـ تقريبا.
(٢) عنوان المجد: ١/ ١١٨.

شاهدًا على عدل أمير الدرعية عبدالعزيز بن محمد[١].

وذكر له عن رجل من أهل البصرة أن أولاد الشيخ محمد المجموعي ـ أحد مشايخ الإمام محمد بن عبدالوهاب الذين تأثروا بمنهجه ـ هم أحسن أهل بلدهم صلاحًا ومعرفةً بالتوحيد، وأن ذلك ـ والله أعلم ـ ببركة اجتماع الشيخ بوالدهم[٢].

إذا به على النقيض من ذلك: يضيق ذرعًا بقتال أتباع الدعوة للبلدان والبوادي بحجة الدعوة إلى التوحيد، واستباحتهم دماء الناس وأموالهم بحجة عنادهم وشركهم وردتهم، فيؤلف كتبًا يتهمهم فيها تلميحًا وتصريحًا بأنهم على منهج الخوارج.

وسيتجلى لك ـ إن شاء الله ـ في هذه الدراسة سرُّ هذا التناقض، وأن أحداث عصر المؤلف فرضت عليه من جهةٍ إظهارَ الولاء والانتصار للدعوة السلفية ودولتها، إلى الحد الذي جعله يؤكد مرارًا أن أصحابها هم أولى الناس بصفة الطائفة المنصورة، التي جاء الخبر عنها في الأحاديث الصحيحة، كما صرح بذلك في أول شرحه لكتاب التوحيد، وذلك ما حدا ابنَ حميد صاحبَ «السحب الوابلة» ـ وهو من المناوئين للدعوة الإصلاحية ـ إلى إغفال ذكر ابن منصور في كتابه، كما هي سنته في أئمة الدعوة وعلمائها[٣].

ومن جهة أخرى حملته على أن يسلك مسالك غاية في الالتواء في

---

(١) انظر عنوان المجد: ١/ ٢٦٨ـ ٢٧٠.

(٢) انظر عنوان المجد: ١/ ٣٦.

(٣) انظر تعليق الدكتور عبدالرحمن العثيمين على «السحب الوابلة»: ٢/ ٧٠٤ـ ٧٠٨.

مواجهة الواقع الذي لا يرضاه، وليس له حيلة فيه، فأدّته هذه الثنائية إلى سمة التردد والاضطراب التي عرفت عنه[1].

وإن كان من المحتمل أن يكون هذا التناقض في موقفه من الدعوة صدى لاضطراب حقيقي كان يعيشه ابن منصور، جراء تكافؤ الأدلة المتقابلة في نظره، التي كان يسمعها من جلسائه من الممالئين والمناوئين، وعجزه عن الحسم فيها، كما هي عادة معلومة من أحوال بعض المشايخ.

---

(١) ويبدو أن لهذا التوجه نصيبا من التأصيل العلمي لدى ابن منصور، فقد قرر في هذا الشرح وجوب مداراة العالم للعوام شرعا وعقلا، والاحتراز منهم بالتقية، وأن ذلك ليس من المداهنة المذمومة في شيء. انظر ص ٦١٣.

ثانيًا: الحالة الاجتماعية والدينية

يغلب على سكان نجد الطابع القبلي، فالغالبية العظمى منهم ينتمي إلى قبائل معروفة النسب، وهنالك أقليات متعددة بعضها على الأرجح عربية الأصل، لكن ذلك الأصل ضاع أو سلب لأسباب مختلفة.

وتوجد هناك بعض الأقليات ترجع إلى أصول غير عربية، أتت إلى هذه المنطقة بطرق متنوعة منها: تعثر بعض القادمين إلى الجزيرة العربية لغرض التجارة أو الحج أو غيرها من الأسباب، وعدم استطاعتهم العودة لأوطانهم، كما توجد نسبة غير قليلة من الرقيق، الذين في الغالب يكونون من الحبشة وبعض بلدان أفريقيا[1].

والوحدة الاجتماعية الأساسية في نجد هي القبيلة، ومن هنا فإن ثبوت الانتماء العربي الأصيل كان مهمًا جدًا لتحديد مكانة الفرد أو الأسرة في المجتمع، واتضحت هذه النظرة في قضية الزواج، أو في مزاولة بعض الأعمال والمهن[2].

وكان المجتمع النجدي من حيث السكان ينقسم إلى قسمين رئيسين: حاضرة وبادية.

---

(١) انظر: الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره، د. عبدالله العثيمين (ص ١١)، الدولة السعودية الأولى، د. عبدالرحيم (ص ٢٤).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

البدو:

يسكن البدو في صحراء نجد، وليس لهم مكان معين، وقد اقتضت طبيعة معيشتهم عدم الاستقرار، فالبدوي ينتقل بأغنامه أو إبله وراء المرعى حيثما وجد، فحيثما ذكرت له الأمطار والأعشاب رحل إليها، وكثيرًا ما تشح المراعي وتجف آبار المياه، ويضطر البدوي إلى البحث عن مراعي جديدة لإبله وأغنامه، فتحدث في الغالب الصراعات بين القبائل عند تعدي بعضها على مراعي البعض الآخر، وهناك بعض القبائل تفضل الهجرة إلى أرض جديدة خارج منطقة نجد، إن كان إلى ذلك من سبيل. ولعل ذلك يفسر لنا هجرة بعض القبائل من قلب نجد إلى سوريا والعراق وشواطىء الخليج[١].

ونتيجة لكثرة تنقل البادية وعدم استقرارهم، فإن البدوي لا يعيش في المنازل المصنوعة من الطين، بل يكتفي بما يظله من الخيام، والتي غالبًا ما تكون مصنوعة من الصوف أو الوبر، حيث تمتاز بسرعة تكوينها وإقامتها، وإمكان حملها من مكان لآخر بسهولة ويسر.

وعمل البدو الأساسي رعي الماشية، وبيع منتجاتها من سمن وصوف وغيرهما، ولكل قبيلة أو عشيرة، أمير أو شيخ يرجعون إليه حال الخلاف بينهم، أو عند حدوث منازعات بينهم وبين قبيلة أخرى[٢].

---

(١) انظر: تاريخ نجد، محمود الألوسي (ص ٨٢)، الدولة السعودية الأولى، د. عبدالرحيم (ص ٢٥).

(٢) انظر: تاريخ نجد، محمود الألوسي (ص ٦٠، ٨٣)، الدولة السعودية الأولى، د. عبدالرحيم (ص ٢٥).

ونتيجة لعدم وجود العلماء أو القضاة الشرعيين بين البادية، يلجأ المتخاصمون منهم إلى الأعراف والتقاليد الخاصة بقبائلهم، والتي في الغالب تكون مخالفة للكتاب والسنة[(١)].

الحضر:

وهم الذين يستوطنون المدن والقرى، ويغلب على حياتهم الاستقرار، وكانت الزراعة من أهم الأعمال لدى حاضرة نجد، حيث يولونها عناية كبيرة، وكانت بلادهم تنتج أنواعًا مختلفة من المحاصيل الزراعية والخضروات والفواكه، لكن النخيل كانت أهم تلك الأنواع لدى السكان، لأن ثمارها مهمة في تغذيتهم، وكل جزء من النخلة يمكن الاستفادة منه في غرض من أغراض حياتهم اليومية آنذاك[(٢)].

ولم تكن أعمال الحاضرة مقتصرة على الزراعة، فهناك التجارة التي لا تقل في الأهمية عن الزراعة، حيث كان النجديون مهرة في هذه المهنة، سواء كان ذلك على الصعيد المحلي، أو على الصعيد الخارجي، حيث يستورد أهل نجد الأطعمة والملابس والسلاح، ويصدرون بعض الحيوانات كالإبل والخيل[(٣)].

والحضر يختلفون عن البدو في طريقة حل المنازعات والخصومات، وذلك لقربهم من العلماء، فهم يحكمون بالكتاب والسنة في قضاياهم ومعاملاتهم، وقل ما تجد قرية أو مدينة في نجد إلا وتجد

---

(١) انظر: الشيخ محمد بن عبدالوهاب، د. عبدالله العثيمين (ص ٢).
(٢) انظر: المصدر السابق (ص ١٢)، الدولة السعودية الأولى، د. عبدالرحيم (ص ٢٥).
(٣) انظر: تاريخ نجد، الألوسي (ص ٨٣).

فيها قاضيًا شرعيًا، ينتدبه الإمام للحكم بين الناس[١].

ولقد تأثرت الجزيرة العربية تأثرًا بينًا بالدعوة الإصلاحية، وتجلى ذلك في اصطباغ المجتمع عامة بصبغة التدين والتزام شعائر الإسلام وشرائعه ـ وهذا هو الوضع الطبيعي المستقيم للمجتمع المسلم ـ، وانحسرت مظاهر الشرك والبدع والخرافات والعادات المخالفة للشرع عن الأقاليم التي حظيت بتأثير أكبر للدعوة، وتقلصت فيما سوى ذلك.

كما كان للحوادث العنيفة التي عصفت بالمنطقة وخصوصًا اجتياح الجيوش المصرية أثره في الإخلال بالأمن، وذلك ما أتاح الفرصة للثارات القبلية والنعرات الجاهلية أن تظهر من جديد[٢]، بعد أن نعم الناس أول القرن إبان عهد الدعوة الأول باستقرار لم يشهدوا له مثيلاً منذ قرون، وهو الذي ظل صاحبنا ابن منصور يروي شواهده لخواصه كما أشرنا سابقًا، إلا أن أثر تلك الحوادث كان محدودًا على الحالة الدينية التي استمرت على صلابتها وحيويتها؛ إذ كانت مبنية على حركة علمية، ومنهجية تربوية، وبناء فكري حافظ على وجوده حتى مع سقوط الإمارة التي كانت تساند الدعوة.

كذلك كانت المعيشة متفاوتة الأحوال بحسب الاستقرار والاضطراب السياسي، وبحسب تيسر أسبابها، التي تتمثل غالبًا في توفر المياه واستمرار نزول المطر؛ إذ كان الرعي والثروة الحيوانية السمة العامة لاقتصاد الناس في أواسط بلاد العرب، وإن لم تعدم شيئًا من الفلاحة والتجارة كما أشرنا سابقا، كما كان للأوبئة والأمراض فتكُها

(١) انظر: الشيخ محمد بن عبدالوهاب، د. عبدالله العثيمين (ص ٢٠).
(٢) انظر تاريخ ابن بشر: ١/ ٤٣٩، ٤٤٠.

في تلك المجتمعات، لذا كانت مواسم الخصب والجدب وتفاوت أسعار الأقوات وانتشار الأوبئة من أهم الحوادث التي يثبتها المؤرخون لهذه البقعة[1]، ومهما يكن من أمر، فالسمة العامة للمعيشة في الجزيرة العربية القلة والقسوة والخشونة والشظف، ولعل هذا ما أكسب بعض أهلها شيئًا من الجفاء والشراسة وشدة البأس.

ثالثًا: الحالة العلمية

اقتصرت المراكز العلمية في الجزيرة العربية قبل ظهور الدعوة التجديدية على الحرمين واليمن، ولا يكاد يوجد في التراث العربي الإسلامي مشاركة لغيرها من نواحي الجزيرة الداخلية، فكانت المنة عظيمة على أهلها بظهور هذه الدعوة، التي جعلت من قلب نجد مركزًا لترويج علوم الشريعة ذات المنهج السلفي لا للجزيرة فحسب، بل لسائر الأقطار الإسلامية، وبسبب هذه الدعوة صارت «الدرعية» منارة علمية يقصدها طلاب العلم، ويتواصل معها العلماء، ويتخرج منها الفقهاء والدعاة والقضاة، كما ظهرت آثار هذه الدعوة على أرجاء الجزيرة، في حركات علمية نشطة، تمثلت في ظهور بيوتات علمية مباركة، وشخصيات دعوية لامعة، كانوا بمثابة المعاهد التي تربي أجيالاً على المفاهيم السلفية الصافية، وكان لهم مصنفاتهم ورسائلهم وفتاواهم وآثارهم التي تشهد بما كانوا عليه من مستوى علمي رفيع، ومكانة فكرية بارزة.

---

(١) راجع مثلاً تاريخ ابن بشر: ١/ ٢٨٤، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٦٦، ٤٥٩، ٢/ ٥٩، ٧٩، ٨٣.

ففي قلب نجد خرّج إمام الدعوة نخبة من التلاميذ من أبنائه وأحفاده وغيرهم، صاروا أئمة فتوى، ومحققين ومصنفين تبوّأوا الذروة بين علماء الإسلام في عصرهم، مثل عبدالله بن الإمام محمد بن عبدالوهاب، وحمد بن ناصر بن معمر، وعبدالعزيز الحصين، وحسين ابن غنام، وعبدالرحمن بن حسن وسليمان بن عبدالله حفيدي الإمام، وعبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين، وغيرهم كثير من العلماء الأعلام من طبقة تلاميذ الإمام، وطبقة تلاميذ تلاميذه التي منها ابن منصور، وتراجمهم مسطورة مشهورة في كتب التراجم[(١)].

كما ظهرت في تهامة وعسير حركة علمية نشطة متأثرة بالدعوة الإصلاحية برز فيها آل الحفظي، الذين منهم عبدالهادي البكري (ت١٢٦٢هـ) أحد أوائل شراح كتاب التوحيد[(٢)].

ولقد كان لظهور هذا المحور العلمي في الجزيرة وانتصاره للمنهج السلفي أثره في نشوب صراعات فكرية طاحنة حول مبادىء الدعوة، مع المناوئين من متعصبة أهل البدع من الرافضة والصوفية وغيرهم، تراها مسطرة فيما صنفه أئمة الدعوة من ردود[(٣)].

بل إن الردود ونقض الشبهات كان سمة عامة لمصنفات أئمة الدعوة؛ لما وجهه خصومها إليها من افتراءات وتلفيقات وشبهات بلغ

---

(١) مثل «السحب الوابلة» لابن حميد مع استدراكات الدكتور عبدالرحمن العثيمين، و«الأعلام» للزركلي، و«علماء نجد» لابن بسام، وغيرها.

(٢) انظر الدراسة التي قام بها حسن العواجي لتحقيق هذا الشرح «تحقيق التجريد» ١/ ٣٣ وما بعدها.

(٣) وقد لخصها أبدع تلخيص الدكتور عبدالعزيز العبداللطيف في كتابه «دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، عرض ونقض».

فيها أصحابها حدًّا يبرر لدى المنصف مسحة العنف التي قد يلحظها في بعض مصنفات علماء الدعوة.

كما إن جو المواجهة العلمية بين الدعوة وخصومها، وامتزاج ذلك بالمواجهات السياسية والعسكرية، فرض مفاصلة حاسمة مع جميع الخصوم في عامة ألوان المودة والتواصل، على وجه ربما لم يسبق له مثيل في تاريخ الدعوة السلفية وصراعاتها الفكرية، مما جر إلى شمول هذه المفاصلة أحيانًا من لا يصح تصنيفه ضمن خصوم الدعوة، ممن لم يراع مقتضى الحال، وظن أنه في هذه الفترة يسعه ما كان سائغًا في فترات سابقة، من الإبقاء على بعض المودة مع بعض المخالفين ممن تربطه بهم علاقة تلمذة أو صداقة أو نحوها، وهو ما حدث مع ابن منصور كما سيأتي تفصيله.

الفصل الثاني
حياة المؤلف

نسبه

هو عثمان بن عبدالعزيز بن منصور بن حمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حسين، الحسيني، من آل رحمة، الناصري، العمْري، التميمي، النجدي، الحنبلي.

كذا هو من خط يده كما في آخر نسخته من «المسودة» في أصول الفقه لآل تيمية[١].

و«آل رحمة» الذين منهم ابن منصور بطن كبير من النواصر، الذين ينتهي نسبهم إلى الحبطات، من بني الحارث بن عمرو بن تميم[٢].

مولده

لم نقف على من صرح بتاريخ ولادته، ويترجح من النظر في موالد مشايخه وتلاميذه أنه ولد في مطلع القرن الثالث عشر، وربما في آخر الثاني عشر؛ فالشيخ عبدالرحمن بن حسن ـ وهو من أشهر شيوخه ـ ولد سنة ١١٩٣هـ، والمؤرخ ابن بشر ـ وهو من أشهر تلاميذه ـ ولد سنة ١٢١٠هـ، فينبغي جريا على المعتاد في مثل هذا أن تكون ولادته تقريبًا سنة ١٢٠٠هـ، تزيد قليلاً، أو تنقص قليلاً[٣].

---

(١) انظر صورة عنها في مطبوعة «المسوّدة» ص ١١.

(٢) علماء نجد: ٥/ ٨٩.

(٣) وإلى هذا أشار الشيخ البسام، وتجدر الإشارة إلى أن ابن منصور يروي في =

وكانت ولادته في «الفرعة»، من بلدان «الوشم»، من أقاليم نجد، وهي مقر عشيرته «النواصر»، ومنها تفرقوا في نجد[١].

نشأته وتعليمه

لم نجد من تفاصيل نشأته، إلا ما ذكره ابن بسام[٢] من أنه قرأ على علماء «سدير» الذين من أشهرهم «آل عبدالجبار»، فيمكن أن يفهم من هذا أنه طلب العلم مبكرًا، ولابد أنه مهّد لذلك بحفظ القرآن أو شيء منه كما هو معتاد بين طلاب العلم.

غير أن من الجدير بالإشارة أن «سديرًا» ـ الناحية التي نشأ بها ـ لم تخضع للدعوة إلا بعد عناد وطول جلاد[٣]، ولا شك أن صفاءها للدعوة بعد إخضاعها عسكريا قد تطلب مدة من الزمن، ولعل لهذا أثره في إعراض ابن منصور عن الدعوة أول الأمر، وانصرافه إلى الزبير والبصرة لطلب العلم، حيث يقيم بعض خصوم الدعوة، كما يأتي[٤].

= بعض أسانيده عن عيسى بن محمد بن عيسى الزبيري (ت ١٢٤٨هـ)، قائلا: «صاحبنا»، وهذا يوحي بأنه من أقرانه، إلا أننا لم نعثر على تاريخ ولادته، فلينظر.

(١) علماء نجد ٥/ ٩٠.

(٢) علماء نجد ٥/ ٩٠.

(٣) انظر عنوان المجد ١/ ٧٦ـ ١٥١.

(٤) انظر ما نقله الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في «مصباح الظلام» ص ٣٨٠، عن كتاب «كشف الغمة» لابن منصور، من أن أتباع الدعوة أتوا إلى «المجمعة» في ناحية «سدير» فدخلوها ليلا قبل أن يتولّوا عليهم، فأذّنوا في أحد مساجدهم؛ يطلبون قتل من جاء للصلاة، فجاءهم شيّاب من أهل الخير فقتلوهم في المسجد. وقد فند الشيخ عبداللطيف هذه الفرية بما يكفي ويشفي.

والذي يظهر جليا لقارىء كتب ابن منصور أنه محب للعلم، متفنن فيه، واسع الاطلاع، متصيد للفوائد، متتبع للشوارد، طويل النفس في دراسة المسائل واستيعاب النصوص، حريص على تنويع مصادره، مع اعتناء بالأدب وعلوم الآلة، وهذا ما لا يكاد يجتمع في مصنفات عالم نجدي، حتى إن حسد الحاسدين عاد همّا يقلق ابن منصور تلقاء كتبه، فلا يزال يردد فيها الاستعاذة منهم(١).

وهذا يدل على عناية ابن منصور الذاتية المبكرة ببناء شخصيته العلمية، وثقافته العامة، وتنويع مشاربه، والسعي إلى الاستقلال في الرأي، ومحاولة التحلل من التزام الجو العلمي العام لنجد في ظل الدعوة، وذلك ما استتبع جعله تحت المجهر، والارتياب من حقيقة موقفه حتى قبل ظهور ما ظهر إثر وفاته.

كما أن هذا التوسع من ابن منصور في طلب العلوم، وذهابه مذاهب شتى في التحصيل، كان على حساب التحقيق والتحرير والتأصيل، كما يظهر جليا من مصنفاته، فكلها نقول إلا النادر، وما إن يختصر، أو يبحث ويقارن، إلا ويفتقد القارىء نفس التحقيق في الكلام.

أما إن ثبت على ابن منصور كتاب «كشف الغمة» ـ وسيأتي تحقيق هذه القضية ـ فإنه أبعد ما يكون عن منزلة المتقنين، فضلا عن المحققين، وهو أبعد عن ذلك إن كان من آخر مصنفاته؛ لما ظهر على مؤلفه من بعد عن نفس التحقيق، فلعله إن ثبت أن يكون مسوّدة ألّفها

---

(١) كما في فتح الحميد ص ١٣، ١٤، ٢١٣١.

في أوائل الطلب.

ويصدق عليه إذن في هذا الكتاب وصف الشيخ عبداللطيف له بأنه من الغافلين عن المباحث العقدية[1].

---

(١) انظر «مصباح الظلام» ص ٣٦.

شيوخه

حرص ابن منصور في أثناء تنقله في طلب العلم وتحصيله، على القراءة على مشاهير علماء عصره، ومن هؤلاء الذين استفاد منهم وقرأ عليهم:

(١) الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد الحصيّن(١١٥٤-١٢٣٧هـ):

ولد الشيخ الحصيّن في قرية الوقف من القرائن سنة ١١٥٤هـ، وكان رحمه الله تعالى من كبار أئمة الدعوة ممن تخرج على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، حيث لازمه ما يزيد على السنتين، وكان الشيخ محمد بن عبدالوهاب يكرمه ويعظمه.

كلفه الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمه الله بقضاء الوشم بإشارة من الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وانتدبه الإمام عبدالعزيز بن محمد والشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهما الله سنة ١١٨٥هـ وسنة ١٢٠٤هـ إلى مكة لمناظرة علمائها.

نفع الله بعلمه وتخرج به علماء من أفاضل الرجال ذكر جملة منهم ابن بشر في أثناء ترجمته، وكان ابن منصور ممن ذكر، توفي الشيخ الحصيّن في شقراء سنة ١٢٣٧هـ عليه رحمة الله[١].

---

(١) انظر: عنوان المجد، ابن بشر (١/ ٢٣٥)، علماء نجد، البسام (٣/ ٤٥٤)، السحب الوابلة، تعليق الدكتور العثيمين (٢/ ٥٤٢).

فقد استفاد ابن منصور من علوم الشيخ الحصين، حينما كان قاضيًا للوشم، وبلدة ابن منصور تابعة للوشم كما تقدم[1].

ومن العلوم التي استفادها ابن منصور من شيخه الحصيّن: التوحيد، وعندما أراد الشروع في تأليف شرح التوحيد، بحث عن نسخة صحيحة من كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، ولم يجد إلا نسخة شيخه الحصيّن، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه بقوله:

«... فطلبت حينئذ نسخة صحيحة، لينتفي الشك عن القريحة، فلم أجد إلا نسخة عندي، قد قابلتها على خط المصنف رحمه الله بيده وجدتها عند بعض مشايخنا، وهو الشيخ عبدالعزيز الحصيّن قدس الله روحه، ونور ضريحه، وجزاه عنا وجميع مشايخنا أحسن الجزاء، فاعتمدت لأجل ذلك عليها...»[2].

ومن العلوم التي تلقاها عن شيخه عبدالعزيز الحصيّن عليه رحمة الله الفقه، فالشيخ كما ذكر في ترجمته له حلقة كبيرة في الفقه وعلومه، وكان موعد مجلسه لتدريس الفقه وقت طلوع الشمس إلى ارتفاع النهار، يرتاد هذا المجلس طلاب العلم من أهل شقراء، وباقي بلدان الوشم، وغيرهم[3].

وقد نفع الله بطلاب الشيخ الحصيّن، إذ عد ابن بشر في تاريخه ما يزيد على العشرة من طلاب الشيخ الحصيّن ممن تولى مناصب القضاء

---

(١) انظر: علماء نجد، البسام (٥/ ٩٠).
(٢) انظر: فتح الحميد ص ٦.
(٣) انظر: عنوان المجد، ابن بشر (١/ ٢٣٥).

والإفتاء بالدولة السعودية الأولى والثانية، ومنهم الشيخ عثمان بن منصور رحمه الله تعالى[1].

(٢) الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب(١١٩٣-١٢٨٥هـ):

الإمام، المجاهد، المجدد الثاني، كان شجاعًا عدلاً مهيبًا، حمل لواء الدعوة السلفية في عهد الإمام تركي بن عبدالله، ثم ابنه فيصل، ثم ابنه الإمام عبدالله بن فيصل، وباشر الأعمال التي كان يقوم بها جده الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وقصده الطلاب من شتى البلدان العربية، وراجت للعلم في الرياض وعامة نجد سوق، بفضل الله ثم بجهوده، ولد رحمه الله في الدرعية سنة ١١٩٣هـ وتوفي بالرياض سنة ١٢٨٥هـ[2].

وقد قرأ ابن منصور على الشيخ عبدالرحمن بن حسن[3] رحمه الله تعالى، وطلب منه ابن منصور أن يجيزه، فأجازه في علوم الحديث وغيرها[4]، وقد ساق ابن منصور سنده من طريق شيخه عبدالرحمن بن حسن ـ رحمه الله تعالى ـ في مقدمة كتابه فتح الحميد حيث قال:

«وقد اتصل سندنا بالإجازة إلى ما في المسند المسمى «بالإمداد في علو الإسناد»، للشيخ العالم العلامة، خاتمة المحدثين، وقدوة من بعده

---

(١) انظر: المصدر السابق.
(٢) انظر: عنوان المجد، ابن بشر (٢/ ٢٠)، السحب الوابلة (٢/ ٤٨٦) تعليق الدكتور العثيمين.
(٣) انظر: علماء نجد، البسام (٥/ ٩٠).
(٤) انظر: الدرر السنية (١٢/ ٧).

من المسندين عبدالله بن سالم البصري، ثم المكي[1] رحمه الله تعالى، من طريق شيخنا الأوحد، والإمام المفرد، الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حفيد مصنف هذا الكتاب، متع الله بحياته، وبارك له في جميع أوقاته، فأجازني عن شيخه...»[2].

ولما انتهى ابن منصور من تأليف كتاب فتح الحميد في شرح التوحيد، عرضه على شيخه الشيخ عبدالرحمن بن حسن، لعل له بعض الملاحظات، وقد نظر فيه الشيخ عبدالرحمن وأعجب به واستحسنه، وكتب ما يفيد ذلك بخطه على غلافه.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: «نظرت في هذا الشرح فرأيته شرحًا حسنًا، قد أجاد فيه مؤلفه وأفاد، كان الله في عونه، ولكنه ذكر فيه شيخه محمد بن سلوم[3]، وحاله في الاعتقاد معلوم، فلو أعرض عن ذكره رأسًا لحسن هذا الشرح عندنا، وفاق عند أمثالنا.

قاله كاتبه عبدالرحمن بن حسن عفا الله عنه»[4].

---

(١) المعروف بجمال الدين، من فقهاء الشافعية، محدث، توفي بمكة سنة ١١٣٤هـ، من تصانيفه الضياء الساري على صحيح البخاري في ثلاث مجلدات، والإمداد بمعرفة علو الإسناد، وذكر فيه أسانيده إلى كتب السنة وغيرها.

انظر: الكتاني، فهرس الفهارس (١/ ١٣٦)، هدية العارفين، البغدادي (١/ ٤٨٠)، الأعلام للزركلي (٤/ ٨٨).

(٢) انظر: فتح الحميد ص ١٩ إلا أن الشيخ عبدالرحمن عاد فتأسف على إجازته كما في الدرر السنية ٩/ ٢١٥.

(٣) سوف تأتي ترجمته في هذا المبحث.

(٤) انظر صورة غلاف النسخة [م] ضمن نماذج المخطوطات.

(٣) الشيخ محمد بن سلوم التميمي (١١٦١ـ ١٢٤٦هـ):

من وهبة تميم، تلقى علومه على يد خصم الدعوة الإصلاحية، محمد بن فيروز الأحسائي، وولد ابن سلوم في مقاطعة سدير سنة ١١٦١هـ، وبسبب موقفه السلبي من الدعوة الإصلاحية جلا عن نجد إلى العراق، نبغ في الفرائض والحساب والهيئة، وله مؤلفات جليلة في هذه العلوم، توفي رحمه الله تعالى سنة ١٢٤٦هـ[١].

وعندما رحل ابن منصور إلى العراق لطلب العلم، التقى بشيخه محمد بن سلوم الفرضي المشهور، وأخذ عنه علومًا شتى، منها الفقه، والحساب، والحديث، والتفسير، والآداب، وقرأ عليه شرحه لمنظومة الشيخ البرهاني في علم الفرائض، قراءة بحث وتحقيق.

وقد أجازه شيخه ابن سلوم بإجازة مؤرخة في شعبان ١٢٤١هـ ذكرها الشيخ البسام في ترجمة ابن منصور، جاء فيها ما يلي:

«.. فإن الولد الموفق الباذل جهده في طلب العلوم، الشيخ عثمان بن عبدالعزيز بن منصور قد قرأ على هذا المُقِلّ، جملة من الفقه والحساب والحديث والتفسير والآداب، و قرأ عليَّ شرحي على منظومة الشيخ البرهاني إلى قسم التركات قراءة بحث وتحقيق، فقد أجزت الولد المذكور بما تجوز لي وعني روايته من حديث، وفقه، وفرائض، وحساب، وعلم ميقات... وغير ذلك، وأجزت له أن يروي عني الثبَت المسمى بـ: «الإمداد في علو الإسناد» الجامع لمرويات و

---

(١) انظر: الدرر السنية (١١/ ٥٣٤)، علماء نجد، البسام (٦/ ٢٩٢)، السحب الوابلة، ابن حميد (٣/ ١٠٠٧).

مستجازات ومناولات العالم العلامة والرحالة الفهامة خاتمة المتأخرين الشيخ عبدالله بن سالم البصري ثم المكي من رواية شيخيّ تغمدهما الله برحمته. . .»[1].

وقد ذكر ابن منصور هذه الإجازة عن شيخه ابن سلوم في بداية كتابه فتح الحميد في شرح التوحيد[2]، وذلك ما أثار عليه انتقاد شيخه العلامة عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى، كما ذكرنا في ترجمته قريبا.

علما بأن ابن منصور لم يذكره في كتابه إلا في معرض سوق إسناده لمروياته التي أجيز بها في أول الكتاب، وذكره دون أدنى ثناء، ولم يذكره بعد ذلك[3].

(٤) الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الأحسائي الشهير بالحنبلي (١١٥٥ـ ١٢٥٧هـ):

ولد في الأحساء سنة ١١٥٥هـ تقريبًا، وكان يتيمًا رباه وكفله الشيخ محمد بن فيروز، وتلقى على ابن فيروز العلم، وبرع في العلوم العقلية والنقلية، ولما مدت الدعوة سلطانها على المدينة، وكان فيها آنذاك، شرح الله صدره لها، فتولى قضاء المدينة للإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد، ودرس كتب ورسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى، وناظر المخالفين ورد عليهم، ولما استولت جيوش محمد علي على المدينة، نزح إلى الدرعية، وكان من ضمن المحاصرين

---

(١) انظر علماء نجد، البسام (٥/ ٩١).
(٢) انظر: فتح الحميد ص ٢١.
(٣) انظر: الموضع السابق.

فيها، ولما استولى الترك عليها، كان ممن عُذّب من علمائها وأعيانها، حيث ضُرب وقُلعت جميع أسنانه، توفي رحمه الله تعالى سنة ١٢٥٧هـ[١].

وقد لقيه ابن منصور، واستفاد منه وقرأ عليه، في الصحيحين وغيرهما، واستجازه ابن منصور أن يروي الصحيحين من طريقه فأجازه في ذلك وجميعِ ما يرويه من الكتب والأسانيد المذكورة في ثبَت «الإمداد في علوِ الإسناد» و«مسند النخلي»[٢]، وقد ساق ابن منصور إسناده من طريق شيخه الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد إلى الإمام البخاري صاحب الصحيح[٣].

(٥) الشيخ عيسى بن محمد الزبيري(ت١٢٤٨هـ):

فقيه، فيه ورع وزهد، ولد في الزبير وأخذ عن علمائها، مهر في الفقه، وكان زاهدًا في الدنيا عزوفًا عنها، ألزمه أعيان الزبير القضاء فباشره بلا مقابل، ثم رغب عنه فألحوا عليه في الاستمرار فامتنع، توفي في بلده الزبير سنة ١٢٤٨هـ[٤].

(٦) الشيخ عثمان بن جمعة (٠٠٠ـ ١٢٤٠هـ):

هو الشيخ عثمان بن عبدالله بن جمعة بن جامع النجدي، يتصل نسبه إلى الخزرج من الأنصار، جاء جده من المدينة وسكن نجداً، ومن

---

(١) انظر: علماء نجد، البسام (١/ ٤٥٧)، السحب الوابلة، ابن حميد (١/ ١٢٦).
(٢) انظر: فتح الحميد ص٢٣.
(٣) انظر: المصدر السابق ص٢٣ ـ ٣١.
(٤) انظر: علماء نجد، البسام (٥/ ٣٤٥)، السحب الوابلة، ابن حميد (٢/ ٨٠٨).

ثَمّ رحلت أسرته إلى الزبير، وفيها ولد، تلقّى علومه على علماء الأحساء والحجاز، وتصدر في المذهب الحنبلي، وولي القضاء في البحرين فحُمدت سيرتُه، وبها توفي سنة ١٢٤٠هـ، شرح كتاب أخصر المختصرات للشيخ البلباني شرحًا مبسوطًا، جمع فيه من الفوائد زبدة كتب الحنابلة[١].

(٧) الشيخ مصطفى الدهني المدني[٢]

ذكره في أول «فتح الحميد» بعد سرد أبواب كتاب التوحيد فقال: (وقد جمع بعض مشايخنا وهو الشيخ مصطفى الدُّهني المديني عدد أبواب التوحيد، وما أورد فيه من الآيات والأحاديث والمسائل، في أبيات شعر..). ثم ذكرها. وفي عناية هذا الشيخ بكتاب التوحيد دليل واضح على أنه من أتباع الدعوة.

(٨) الشيخ عبدالله بن حمود الضرير الفقيه[٣]

وهؤلاء الأربعة ذكرهم ابن منصور في معرض ذكر من أجازه من أهل العلم، وقد أجازوه في رواية ما حواه ثبَت «الإمداد في علو الإسناد» و«مسند النخلي» من الأسانيد إلى كتب الحديث وغيرها[٤].

---

(١) انظر: السحب الوابلة، ابن حميد (٢/ ٧٠١)، علماء نجد، البسام (٥/ ١٠٩).

(٢) لم نجد له ترجمة. وقد ذكر صاحب «فهرس الفهارس» ممن يروي عن الزبيدي (١١٤٥ـ ١٢٠٥هـ) صاحب «تاج العروس»: العلامة الشيخ مصطفى الدهني المصري، انظر ص ٥٣٩، كما ذكره في ص ٧٠٣ راويًا عن حسن القويسني، والقويسني هو أحد شيوخ الشيخ عبدالرحمن بن حسن، وستأتي ترجمته.

(٣) لم نجد له ترجمة.

(٤) انظر: فتح الحميد ص١٩ ـ ٢٧.

(٩) الشيخ محمد الشعّاب الأنصاري المدني.

هو محمد بن صالح بن عبد الباقي بن أحمد، الحنفي، الشهير بالشعاب، له شرح على ملحة الإعراب سمّاه: «كشف النقاب»، توفى بمكة في نيف وأربعين بعد المائتين والألف[١].

(١٠) الشيخ إبراهيم الفاسي المغربي

(١١) الشيخ إبراهيم الضرير اليماني[٢]

وهؤلاء الثلاثة استشهد بهم ابن منصور خلال تقريره لمسألة أسماء الرب جل وعلا، وأنها أسماء ونعوت[٣].

(١٢) إسماعيل بن محمد سعيد سفر اليمني، ثم المدني[٤].

(١٣) عثمان بن سند، من خصوم الدعوة، دارسه المؤلف في البصرة، ثم هجره وردّ عليه ردًّا أليمًا بسبب طعنه على ابن تيمية وأهل نجد[٥].

(١٤) إبراهيم بن ناصر بن جديد، من خصوم الدعوة، توفي سنة ١٢٣٢هـ[٦]، ذكر الشيخ عبدالرحمن بن حسن أنه من شيوخ ابن

---

(١) انظر: المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر.

(٢) لم نجد لهما ترجمة.

(٣) انظر: فتح الحميد ص٥٥، ٥٦.

(٤) لم نجد له ترجمة، وقد ذكره في ثبت أسانيده.

(٥) انظر الدرر السنية ٩/ ٢١٥، وفي «علماء نجد» (٥/ ٨٩) نقلٌ عن ابن منصور فيه أنه سافر من البصرة عام ١٢٣٦هـ، لكن قال ابن منصور في آخر كتابه «منهج المعارج»: (كنت سودت بعضه بالبصرة المحروسة سنة الأربعين بعد المائتين والألف)، فالظاهر أنّه كان يتردد على البصرة.

(٦) انظر السحب الوابلة: ١/ ٧١، وعلماء نجد: ١/ ٤٢٣.

منصور[1]، وأشار إليه ابن منصور ضمن أسانيده على أنه شيخ شيوخه[2].

تلاميذه

إن شخصية بهذه المنزلة في العلم والقضاء من البداهة أن يكثر تلاميذها ومريدوها، ومع هذا لا نكاد نجد التصريح إلا بأسماء قلة منهم، ولاشك في أن الدور الأكبر في هذا يعود لموقف ابن منصور من الدعوة، وما أثير حوله من شبهات، فهذا يقتضي إغفال ذكر تلاميذه له ضمن شيوخهم؛ حتى لا يصنفوا في أضداد الدعوة، ولعل ابن بشر المؤرخ شذ عن ذلك لكونه مؤرخًا، بعيدًا عن التدريس والفقه والقضاء، قوي الصلة بالأمراء، وفيما يلي ذكر من وقفت عليه من تلاميذه:

١ـ المؤرخ عثمان بن عبدالله بن عثمان بن بشر الحرقوصي، من بني زيد، ولد عام ١٢١٠هـ، وتوفي عام ١٢٩٠هـ، وهو صاحب التاريخ الشهير: «عنوان المجد في تاريخ نجد»، الذي احتفى فيه بشيخه ابن منصور، وذكر توليه القضاء في عدة مواضع، ونقل عنه بعض الأخبار، وأثبت له مرثية في الإمام تركي، وأثنى عليه الثناءَ العاطر.

٢ـ محمد بن حمد بن نصرالله بن فوزان بن نصرالله، حياته ما بين ١٢١٠هـ إلى آخر القرن الثالث عشر، تقريبًا، اشتهر بخطه الجميل المضبوط، ونسخه للكتب، ويبدو أنه من أخص تلاميذ ابن منصور، فقد نسخ كتبه بيده.

٣ـ محمد بن حمد بن عمير بن عبدالله بن ناصر، الناصري، الحنبلي،

---

(١) انظر الدرر السنية: ٩/ ٢١٥.

(٢) انظر ما يأتي في فتح الحميد ص٢٤، ٣٤.

كاتب النسخة [م]، وهي المسودة الأولى، قال في آخرها: (وتم الفراغ من تعليق هذا الشرح المبارك المسمى بفتح الحميد في شرح التوحيد **لشيخنا** العلامة عثمان بن عبدالعزيز بن منصور أيده الله...). ولم نعثر له على ترجمة.

٤ـ محمد بن فهيد الدوسري البدراني، اختص بالتلمذة لابن منصور، فلازمه وقرأ عليه حتى أدرك[١].

٥ـ علي القرشي الدوسري، زميل سابقه في التلمذة لابن منصور[٢].

٦ـ علي بن سند، من المشارفة، ذكر ابن بسام أنه من تلامذة ابن منصور، ولم يزد على ذلك[٣].

ثناء العلماء عليه

قال عنه تلميذه المؤرخ ابن بشر: الشيخ النبيل، والعالم العلامة الفقيه، الذي حوى فنون العلوم، وكشف إليها الستور، وتلألأ بمعاني بيانه الطروس والسطور[٤].

ووصفه في خطّه على إحدى نسخ «فتح الحميد» بالشيخ.. الفاضل، والحبر المناضل.. القاضي عثمان بن منصور[٥].

وقال ابن ضويان: كان فقيهًا، يكتب جيدًا، وحصّل كتبًا كثيرةً

(١) انظر علماء نجد ٦/ ٣٥٥.
(٢) انظر الموضع السابق.
(٣) انظر علماء نجد: ٦/ ٥١٥.
(٤) عنوان المجد ١/ ٤٦٦، والطروس: الصحف، انظر لسان العرب (٦/ ١٢١).
(٥) انظر ورقة العنوان من النسخة [م]، ومكان النقط كلمة غير واضحة، كأنها «الهمام» أو «العالم».

بالنسخ والشراء، وبعد موته حملت إلى الرياض، وبيعت بأغلى الأثمان[1].

ومن الشهادات الثمينة لابن منصور بالتمكن العلمي قول العلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن وهو من أشد الناس إنكارًا على ابن منصور في علاقاته بخصوم الدعوة، حيث قال عنه ضمن رسالة مناصحة بعث بها إليه: إيهٍ من رجل لو استقام، وصارمٍ لولا ما عراه من الانثلام، لكني أعلم أن للعلم بركات، وللملَك لمّاتٍ، فأرجو أن يقوده العلم إلى ثمراته. . ا. هـ[2].

ولا يخفى ما في هذا التعبير من التحسّر على عالم مثل ابن منصور ألا يكون صافيًا في ولائه للدعوة.

---

(١) عن «علماء نجد» ٥/ ٩٦.

(٢) انظر الدرر السنية (١٢/ ٢٩٥).

فقهه

تلقى الشيخ عثمان بن منصور، علومه في الفقه على مشاهير علماء الحنابلة في عصره، حتى برع، وعُدّ من العلماء المبرزين، وقد نقل عنه تلميذه المؤرخ الشيخ عثمان بن بشر نصًا يدل على اطلاعه الواسع على ما كتبه متأخرو الحنابلة، من الحواشي والمتون، يقول ابن بشر: «أخبرني شيخنا عثمان بن منصور عن أشياخه قال: كل ما وضعه متأخرو الحنابلة من الحواشي على تلك المتون ليس عليه معوّل، إلا ما وضعه الشيخ منصور[1]، لأنه المحقق لذلك»[2].

وقال عنه أيضًا: «الشيخ النبيه، والعالم العلامة الفقيه، الذي حوى فنون العلوم، وكشف عنه الستور، وتلألأت بمعاني بيانه السطور شيخنا عثمان بن منصور»[3].

وقد تطرق ابن منصور في كتابه فتح الحميد، إلى كثير من المسائل الفقهية، يظهر للمطلع عليها، رسوخ قدمه في هذا الميدان، وبراعة استدلاله، وحدة فهمه، وقد ذكر الشيخ علي الهندي[4] رحمه الله أن

---

(١) البهوتي، أحد كبار أئمة المذهب، شيخ شيوخ الحنابلة في مصر والشام ونجد، توفي سنة ١٠٥١هـ.
انظر: السحب الوابلة، ابن حميد (٣/ ١٣١)، معجم المؤلفين، كحالة (١٣/ ٢٣).

(٢) انظر: علماء نجد، ابن بسام (٥/ ٩٢).

(٣) المصدر السابق.

(٤) الحائلي، أحد المدرسين بالمسجد الحرام، له: «زهر الخمائل في تراجم علماء حائل»، وحاشية على زاد المستقنع، انظر عنه «المدخل المفصل إلى =

لابن منصور مجموع فتاوى مخطوطًا، نقل ذلك عنه الشيخ ابن بسام حفظه الله، ولم يشر إلى مكان وجوده، ولم يدرجه في مؤلفات ابن منصور[١].

أدبه وشعره

لابن منصور عناية بينة بالأدب والشعر، واطلاعه فيهما واسع كما يبدو من مصنفاته؛ فهو من المكثرين جدا من الشواهد الشعرية، خصوصًا في «فتح الحميد»، الذي تجاوزت الشواهد فيه الخمسمائة، وله عناية خاصة بشعر جرير، فكثيراً ما يستشهد به، ويبدو أنه يحفظ كثيراً من ديوانه؛ فقد أورد في أول نصفي الكتاب ستة وعشرين شاهداً لغويا من شعره.

أما نظمه فهو كما يقول الأستاذ حمد الجاسر: ركيك ضعيف[٢]، وقد وافق في هذا الحكم الشاعر الأديب العالم: ابن مشرف الأحسائي، حيث يقول في رده على مدح ابن منصور لابن جرجيس[٣]:

ركيك قواف صاغها فتكسرت ... وحاصلها كالعجل[٤] مستوجب الكسر
تخير حرف الراء عجزاً وإنما ... يعدون حرف الراء عير أولي الشعر

= فقه الإمام أحمد بن حنبل» للدكتور بكر أبوزيد: ٢/ ٧٧٦.
(١) المصدر السابق.
(٢) انظر مجلة العرب، الجزء ٩، ١٠، ص ٦٨٢ـ ٦٨٥، السنة ٣٠، عدد الربيعين من عام ١٤١٦هـ.
(٣) انظر ديوانه ص ٢٩.
(٤) يريد العجل الذي عبده بنو إسرائيل.

وخالفهما في هذا الرأي صاحب «زهر الخمائل» فقال: وله شعر قوي[1]. وبأدنى نظرة في شعره يتبين صواب الرأي الأول.

وقد حُفظت لابن منصور بعضُ القصائد، منها نظمه المذكور في أول «فتح الحميد»[2]، ومنها منظومته التائية التي ختم بها شرحه، وأولها:

الحمــــد لله إكمـــالاً لبغيتنـــا ملء السماء وملء الأرض كرات
أنت المهيمن إنعاماً ومغفرةً والفقر لي لازم جميع حالاتي[3]

ومنها قصيدته التي سماها «الرد الدامغ» التي رد بها على عثمان بن سند، وقصيدته في مدح ابن جرجيس، وستأتي نماذج منهما في الفصل التالي، ومنها مرثيته للإمام تركي، وقد تقدم مقاطع منها في الفصل الأول، ومنها ردّه العنيف على أبيات ابن حمّاد المغربي التي ظنّ ابن منصور أنه يتنقّص بها الحديث وأهله[4].

وفاته

توفي ابن منصور في ربيع الأول من عام ١٢٨٢هـ، وكانت وفاته في «حوطة سدير»[5]، وهو العام الذي توفي فيه العلامة أبو بطين، والإمام فيصل بن تركي[6]، رحم الله الجميع.

---

(١) زهر الخمائل في تراجم علماء حائل للشيخ علي الهندي: ص٥.
(٢) انظر ص ١٢.
(٣) كذا البيت في آخر شرحه، ولا يخفى خلله.
(٤) انظر فتح الحميد ص ١٥٦٧.
(٥) انظر «علماء نجد» ٥/ ٩٩.
(٦) انظر «عقد الدرر» لابن عيسى ص ٥٥، ٥٨.

وقد ذكره صاحب تسهيل السابلة في وفيات سنة ١٢٦٤هـ، ثم عاد فذكره في سنة ١٢٦٦هـ وقال: وقد تأخرت وفاته إلى هذه السنة، أو بعدها[1].

والمقطوع به عند بقية من ترجم له أنه توفي عام ١٢٨٢هـ.

---

(١) تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة لصالح العثيمين، تحقيق بكر أبو زيد: ٣/ ١٦٩٠ ـ ١٦٩٢.

الفصل الثالث
مؤلفات ابن منصور

ألف ابن منصور مؤلفات عدة، صرح فيها بالثناء على الإمام محمد بن عبدالوهاب ودعوته، ونُسبت إليه مؤلفات تتضمن نقداً للدعوة وأتباعها تصريحاً وتلميحاً، ولم يطبع من هذه المؤلفات شيء، وإليك فيما يلي ما وقفنا عليه مما نُسب إليه، محاولَين ترتيبه ترتيباً زمنياً:

١ـ «**الرد الدامغ على الزاعم أن شيخ الإسلام ابن تيمية زائغ**»، وهي منظومة رد فيها على عثمان بن سند الفيلكي البصري لما تهجم على ابن تيمية، وتضمنت دفاعاً عن الإمام محمد بن عبدالوهاب، وقد قدم لها بمقدمة هجم فيها هجوماً عنيفاً على ابن سند، وسيأتي شواهد منها في الفصل التالي، ولعلها من أول ما ألف؛ إذ ألفها إثر اجتماعه بابن سند في البصرة، وسماعه منه نيلاً من الإمام ابن تيمية وأهل نجد، ومعلوم أن إقامته بالعراق كانت في مقتبل عمره.

وهذه المنظومة موجودة بقسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم (٢١٣٧) (١ـ ٣ب)[١].

٢ـ «**منهج المعارج لأخبار الخوارج بالإشراف على الإسراف من دينهم المارج**»، أو «**السيرة الخارجية المحتوية على كل غائلة وبليّة**»، يعتبر ـ كما يقول الدكتور عبدالرحمن العثيمين ـ من أجمع الكتب المؤلفة في

---

(١) وقد نشرتها قريبا دار التدمرية بعناية سليمان الخراشي وفقه الله.

أخبارهم[1].

قال ابن منصور في مقدمة هذا الكتاب: (..إنه قد عنّ للخاطر الحاضر أن أذكر أخبار الخوارج الذين خرجوا بالسيف على صالح الأمة، فقاتلوا به سائر المسلمين والأئمة، فسطوا على الناس بالسيف، ونسبوهم بما فيهم إلى الكفر والحيف، تأولوا فيهم آيات قد أنزلت في الكفار، وحكموا عليهم بالخلود في النار، فبدؤوا بالصحابة، وثنوا بمن بعدهم من أهل البصائر والإصابة، ففتنوا الناس بالعبادة والاجتهاد، وركّبوا دينهم على مجانبة الحق والإلحاد، وذلك لتحكيم عقولهم، وفساد أصولهم، فضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وضجت[2] من سفكهم الدماء السماوات والأرض، فتبع من خلف منهم من سلف، حتى جانبوا بذلك سيرة صالح السلف، باستعمالهم للمسلمين الغلو والصلف، إلى أن جعلوا الدين القويم بينهم مزدلفاً، وقالوا على الله غير الحق، وزعموا أن كلاًّ منهم بما زعم محق، فصاروا بذلك عن الدين ناكبون[3]، فهم لله ورسوله محاربون، ومع ذلك يزعمون أنهم محسنون، ألا إنهم هم الفاسقون، ولكن لا يشعرون، ويقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، **فهم يقاتلون أهل شعائر الإسلام، الذين نصبوا له الرايات والأعلام، يدعون بداعي الفلاح على رؤوس المنار، ويسعون إلى ما يقربهم من دار القرار، ينصبون القضاة في أمصارهم، ويعمرون المدارس في أقطارهم، ومع ذلك فهم يجعلون بلادهم بلاد كفر وحرب**، فيوقعون بهم القتل بالوخز والضرب، ومن

(١) السحب الوابلة: ٣/ ٧٠٨.
(٢) في الأصل: جضت، ولا محل لها.
(٣) كذا، والصواب: ناكبين.

أقام منهم في بلاده فهو عندهم الشقي الكافر، ومن رحل منها إليهم فهو المؤمن المهاجر؛ إذ من قواعد دينهم وتسويل شياطينهم أن من ساعدهم على قولهم فهو المؤمن القوي، أو خالفهم فهو الكافر الشقي، فهم يقتلون أهل الإسلام والإيمان، ويدعون أهل الكفر والعدوان، حتى غشيت الفتن الكبرى لقلوبهم، فلا هم يتوبون من جرمهم وذنوبهم، فلذلك عميت عن الحق بصائرهم وأبصارهم، وقرب من الباطل خوضهم ومزارهم، فاختلفت في ذلك أهواؤهم، وتولت عن الحق إلى الباطل آراؤهم ودلائلهم، فما خطر بخواطرهم كان عندهم كالحق، وحرمة عبّاد المسلمين لدى عبّادهم كالبق، يتلعّبون بالمسلمين تلعّب الصبيان بالكرة، وما شابه من زيهم زيّهم فهو عندهم محرم أو مكتره، يتمنون على الله الأماني، ولا يرون قاتل المسلمين بقتلهم جاني، ويؤولون القرآن على غير تأويل المؤمنين، فيجعلون بذلك المسلمين كالمجرمين، فقد ضجت[1] من فعلهم دماء المسلمين وأموالهم، وضاقت بهم فروجهم وأحوالهم، لا يرجعون في ذلك إلى قول صحيح في الأمة، ولا ينتحلون في اجتهادهم إماماً من الأئمة، معولهم في قولهم على عقولهم في القرآن، إذ ليس عندهم في تأويلهم من دليل عن السلف ولا برهان، فهم لا يعرجون في ذلك إلى قول صائب، أو يؤثر عن تابعي أو صاحب، قد جلت مصيبتهم على أهل الإسلام، وابتهج بفعلهم عباد الصليب والعجل والأصنام، فلا خرقهم يخاط، ولا كفهم عن فعلهم يناط، فلذلك استعنت الله على شرح سيرتهم بتأليفها وجمعها، وبيان صواعق وقعهم بالمسلمين ورفعها. . .) إلى أن يقول: (جعلته تنبيهاً لمن تأمله من مقيم ودارج، وتحذيراً عن مذهب الغلاة

---

(١) في الأصل: جضت، ولا تستقيم هنا.

الخوارج، فهو تعريف لمن عقل لدينهم المارق المارج، وسترى ما وصفته لك من مذاهبهم في هذا الكتاب مسطوراً، وإن كان كل من وافقهم يرى أنه على ذلك من دينهم مفطوراً. .) إلخ.

وفي آخره يقول: (كنت سودت بعضه بالبصرة المحروسة سنة الأربعين بعد المائتين والألف، ثم عنّ لي بطلب بعض الإخوان كما مر أن أبيّضه في سنة خمس وخمسين ومائتين وألف من الهجرة)[1].

فالكتاب بهذا سُوّد قبل «فتح الحميد»، وبُيّض بعده، وبهذا يُستبعد كونه يمثل مرحلة انتقالية بين تأييد الدعوة ومناوأتها، خصوصاً أن النسخة الأخيرة لفتح الحميد بخط تلميذه ابن نصرالله مؤرخة في سنة ١٢٥٧هـ.

وقد تطرق ابن منصور في هذا الكتاب إلى أخبار الخوارج وتاريخهم ومعاركهم مع جيوش الخلافة، وفي أوله ناقش بعض الأصول التي بنى عليها الخوارج تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم.

وقد اعتبر الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب ـ إمام الدعوة الإصلاحية في زمنه ـ هذا الكتاب سهماً من سهام ابن منصور الموجهة ضدّ الدعوة، وأنه إنما عنى أتباعها به؛ إذ ليس في نجد أحد من الخوارج فيستدعي الكتابة عنهم، بل إن سائر الأمصار لم يبق فيها من يقول بقولهم إلا الإباضية[2] في عمان، أقصى الجزيرة

---

(١) منهج المعارج (١٠٤ـ أ)، مخطوط في مركز المخطوطات والتراث والوثائق بجمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت، وقد أشار صاحب «دعاوى المناوئين» ص ٥٠ إلى وجود نسخة منه في دار الكتب المصرية.

(٢) من فرق الخوارج، ينسبون إلى عبدالله بن إباض التميمي، انظر عنهم: «مقالات الإسلاميين» للأشعري: ١/ ١٨٣.

العربية، مع أن الواقع في الأمة أعظم من ضلالة الخوارج؛ فقد وقع فيها عبادة الأوثان وتزيين عبادتها، وإنكار التوحيد، فما بال ابن منصور ينصرف عن تسخير قلمه وعلمه لمحاربة هذا الشرك الصريح إلى الكتابة عن الخوارج[1].

ولا يملك القارىء لكتاب ابن منصور عن الخوارج إلا أن يؤيد موقف الشيخ عبدالرحمن بن حسن، بل يكاد يجزم بكون كتابه هذا يمثل مرحلة متوسطة في انقلابه على الدعوة، بين «فتح الحميد» و«الرد الدامغ»، وبين «كشف الغمة» ومدحه لابن جرجيس، لولا تواريخ التأليف كما سبق.

فمما جاء في «منهج المعارج»، قوله بعد إيراد الأحاديث الدالة على أن الله ـ حرم على النار من قال «لا إله إلا الله ـ: (إذا علمت ذلك فإن الخوارج لا يسلّمون في هذا، ويقيّدون الأشياء بأهوائهم التي ركبوها لتكفير الأمة، ويقولون: إن كان يقولها فهو ينقضها كلَّ حين، فيقال أولاً: إذا أقررتم بأن الشهادتين عاصمةٌ له، وأن الأمة تقولهما وتقرر بهما وتعتقدهما حقا، وأنهما مبنى دين الإسلام، وأصل الإيمان، فيلزمكم أنكم لا تخرجون صاحبهما إلا بما يفعله أو يقوله مما يضادُّهما، **وهو الجحود لهما**، وأما كونه يفعل ما قد يضادهما متأوّلاً أو جهالةً وهو لا يعلم أن ذلك ينقضهما عليه، بل يفر من ذلك لو علمه غاية الفرار، فإن العلماء قد صرحوا أنه لا يكفر بذلك، ولهذا **لو طالبته بإنكار شهادة ألا إله إلا الله، أو بإنكار أن محمدًا رسول الله ـ ﷺ ـ لنفر**

---

(١) انظر الدرر السنية ٩/ ٢٣٠، رسالة من الشيخ عبدالرحمن بن حسن إلى ابن منصور.

من ذلك غاية النفور، بل لأحب أن يُقتل ولا ينكرهما، فإذا علمت ذلك، وأنه ينفر منه غاية النفور، بل قد يختار القتل عليه، علمت الفرق بينه وبين الذين بُعث إليهم النبي ـ ﷺ ـ من مشركي العرب وكفارهم؛ فإنهم لما طلب منهم النبي ـ ﷺ ـ بأن يقولوا «لا إله إلا الله» صفّقوا بأيديهم، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾، ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾، **فيا لله العجب!**، كيف يُجعل من أقر بالشهادتين وشهد بهما، ونفر من إنكارهما غاية النفور، مثل من أنكرهما غاية الإنكار، ويعجب[1] كيف يطلب منه رسول رب العالمين ـ صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين ـ أن يقولَهما؟!، فالمساوي بين هذين كمن يجعل المسلمين كالمجرمين، ويجعل المتقين كالفجار، فلا عجب بأعجبَ من حال الخوارج، حيث قالوا بخير القول، وعادَوا أهله وقاتلوهم، وحكموا عليهم بالكفر والخروج من دائرة الإيمان)[2].

وهذا الكلام موجه إلى أتباع الدعوة دون شك؛ إذ لم يُعرف عن الخوارج الأوائل أنهم كانوا يقاتلون الناس على التوحيد، ويكفرونهم بالشرك الأكبر، بل كانوا يكفرون أصحاب الكبائر مطلقاً، وهكذا من بقي من الخوارج كالإباضية.

وجواب شبهته هذه أن يقال له: أنت قررت في كتابك هذا أن من ارتكب مضادًّا للشهادتين كالاستهزاء بالله وآياته ورسوله، أو سب الله ـ تعالى ـ ورسوله أنه يُحكم بردته إجماعاً، سواء كان جاداً أو مازحاً، ولم تشترط في مثل هذا التبيينَ للفاعل أنه مضادّ للشهادتين قبل الحكم

---

(١) معطوف على «أنكرهما»، أي ومثل من يعجب. . .
(٢) «منهج المعارج»: ص (٢٤/ أ).

بردته؛ إذ هذه المضادة معلومة بالاضطرار[1]، فما هو جوابك على من يردّ تقريرك هذا بمثل شبهتك السابقة؟، فهو جواب أتباع الدعوة عليك، على أنهم لا يكفرون أحدًا ويقاتلونه إلا إذا أصر وعاند بعد البيان وإقامة الحجة.

ويقول أيضاً في إشارة واضحة إلى الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب وأتباعه: (وأما المعاصي والفجور ـ نعوذ بالله من ذلك ـ، وكذلك الجهالة فالأمة مغمورة بذلك إلا من أراد الله صلاحه، ولا يزال فيها من يجدد لها دينها، ويبين لها طريقها، ويأمر فيها بذلك وينهى، . . وكل مجدد يظهر فيها يكون على سنتها وصراطها، لا يحكم عليها بالكفر، ولا أنه لم يبق مسلم فيها يدعو إلى الله إلا هو ومن تبعه)[2].

وفي موضع آخر: (وأنت ترى من يخرج بغير مشايخ يتخرج عليهم، ثم يشهد عليه من علماء أمته بالخطأ أكثر ممن يشهد للإمام بالصواب والاهتداء، وهو يفتي في دماء الأمة وأموالهم وأديانهم بالاعتداء، ومع ذلك لا يتمادى عن هواه وغيه، ولو طلبت منه طريقاً يتصل به إلى النبي ـ ﷺ ـ من طرق علماء الأمة لم تجده، لا بالإجازة، ولا مناولة، فضلاً عن التحديث والأخذ بالسماع. . .، ومع ذلك فهذا دائمًا يحكم في دماء المسلمين وأموالهم وفروجهم وفي جميع أحوالهم، فما أعظمها في الأمة من بلية، وما أقدحها من رزية، فيالكِ من بدعة أحدثها بضلاله وعدله، ومن تكفير قد أطلق على من لا يستحقه بقوله، فهو يخوض بذلك في ميدان جهله، ويظن به من لا

---

(١) انظر «منهج المعارج» ص (١٧/ أ).
(٢) السابق: (٢٤/ ب).

يعرف العلم أنه من كامل أهله، وهو مع ذلك يعيب من أنكر عليه أمره بأكبر الكفر والعيوب؛ لأن صاحب الهوى حريا[1] منه ألا يرتدع عن هواه ولا يتوب)[2].

ويقول بعد قوله ـ ﷺ ـ «تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم..» الحديث: (فنبه ـ ﷺ ـ أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ وأمته المرحومة بذلك؛ لئلا يغروهم بحسن قولهم ودعواهم بما يفعلونه من التكلف والتنطع في العبادة، وتعمقهم في **دعوى الإخلاص**، وإظهار العدل بين الناس، وأن **مقصودهم التوحيد** لله ـ تعالى ـ)[3].

وأبلغ من هذا أن من تأمل هذا الكتاب مليًّا، وقارن عباراته وأسلوب مؤلفه ومسائله ودلائله بكتاب «كشف الغمة»، قطع بأن مؤلفهما واحد دون تردد أو شك، جعل الطعن على الدعوة وإمامها في أحدهما تلميحات وإشارات، وفي الآخر بأصرح العبارات، كما يأتي.

ومهما يكن من أمر فإن «منهج المعارج» مما أدين فيه ابن منصور بمناوأة الدعوة، واتهام أتباعها بالخروج، إلا أن يقال: إن ابن منصور في هذا الكتاب رأى أن ثمّة تيارات داخل صفوف الدعوة السلفية جنحت إلى المبالغة في سبيل التكفير، وإعمال أحكام المشركين والمرتدين على من لم يتبين كفره، أو كان ما يُكفّر به محل خلاف واجتهاد، فألف هذا الكتاب خشية أن ينتهي بهم المطاف إلى بعض مذهب الخوارج[4].

---

(١) كذا، والصواب: حري.
(٢) «منهج المعارج» ص (٤٣/ ب).
(٣) منهج المعارج ص (٤٢/ أ).
(٤) فيكون القول فيه ما قاله الشيخ عبدالله البسام في دفاعه عن الشيخ إبراهيم بن =

لكن هذا لا يصح مع عبارات الكتاب المشيرة بالذم إلى الدعوة وإمامها جملةً وتفصيلاً.

٣ـ «**فتح الحميد في شرح التوحيد**»، أجل مؤلفاته وأوسعها، شرح فيه كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهاب، وهو بالنسبة له كتاب العمر، فقد ألفه في سنين طوال، وظل يضيف إليه دهراً من عمره، ويأتي الكلام عليه مفصلاً، وقد صرح فيه ببراءة الإمام محمد بن عبدالوهاب من مذهب الخوارج، وبالغ في الثناء عليه[١].

٤ـ «**التحفة الوضيّة في الأسانيد العالية المرضية**»، وهي ثبَت بأسانيده عن شيوخه، أشار إليه في أول «فتح الحميد»[٢]، بعد أن أورد فيه كثيراً من مادته، وذكره أيضًا في «منهج المعارج»[٣].

٥ـ «**كشف الغمة في الرد على من كفر الأمة**»، أو «**جلاء الغمة عن تكفير الأمة**»، لم يظهر هذا الكتاب في حياة ابن منصور، ولا أشار إليه في شيء من كتبه السابقة، بل ذكر ابن ضويان أنه ظهر في

= جاسر لما اتهم بالتساهل في التوحيد: (إن نجدا بعد ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ صارت عقيدة أهلها واحدة في تحقيق التوحيد بأنواعه الثلاثة، وبعدهم عن البدع والخرافات، وإذا كان هناك خلاف بين هذين الحزبين، فهو جسارة حزب في إطلاق الكفر على بعض الطوائف، وتورع الحزب الآخر عن ذلك، ويترتب على هذه المسألة السفر والإقامة في بلد هؤلاء المختلف في تكفيرهم، فمن كفرهم حرّم السفر والإقامة في بلادهم، ومن سكت عنهم لم يمنع من ذلك). (علماء نجد ١/ ٢٧٩).

(١) انظر ص ١٢٢.

(٢) انظر ص ٣٦.

(٣) انظر ص (١١/ أ)، (١٣/ ب) من مخطوطته.

«بريدة» بعد موته بسنين، وزعم من وُجد عنده أنه تصنيف ابن منصور، فأخذه الشيخ محمد بن عمر آل سليم إلى الرياض عام ١٢٩١هـ(١)، فرد عليه الشيخ عبداللطيف بكتاب «مصباح الظلام في الرد على منتقصي شيخ الإسلام»(٢).

وفي رواية أخرى أن ابن منصور لما توفي جيء بكتبه في بيت الشيخ عبداللطيف، فوجدوا هذا الكتاب فيها، وشهد علي بن عيسى وأحمد بن عيسى أنه بخط ابن منصور، فرد عليه الشيخ عبداللطيف بكتاب سماه «مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام»(٣).

وقد كان العلماء قبل ظهور هذا الكتاب أخف وطأة على ابن منصور؛ فهم وإن كانوا متشككين في أمره؛ لما لاحظوه عليه من عدم الابتهاج بالدعوة، وعدم براءته من المخالفين، إلا أنهم لم ييأسوا بعد من صلاح حاله، فأبقوا على مواصلته بالمناصحة والتذكير، وأعرضوا عما ينسب إليه من الهفوات العظام؛ حيث لم يقفوا لها على تصحيح يعتمد(٤)، حتى انكشفت حقيقة موقفه لديهم بوقوفهم بعد وفاته على

---

(١) هذا التاريخ مشكل؛ فقد ذكر الشيخ عبدالرحمن بن حسن في أحد ردوده على ابن منصور وجدان هذا الكتاب في بريدة، مع أنه توفي سنة ١٢٨٥هـ، انظر الدرر السنية ٩/ ١٨٧، فلعل ابن ضويان يعني بظهوره بعد موته اشتهار أمره.

(٢) انظر علماء نجد ٥/ ٩٦.

(٣) انظر علماء نجد ٥/ ٩٧، ولم يذكر الشيخ البسام مصدر الرواية الثانية، والأولى موافقة لما في الدرر السنية ٩/ ١٨٧، ٣٣٥، وهي الأقرب للصواب، أما ما عثر عليه في الكتب التي بيعت بعد موته فإنما هو مدحه لابن جرجيس، وأوراق فيها بعض مضمون «كشف الغمة».

(٤) انظر الرسالة التي بعث بها الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن إلى ابن منصور =

هذا الكتاب بخط يده، وشهد على ذلك الثقات عندهم من أهل «سدير» ـ بلد ابن منصور ـ وغيرهم من طلبة العلم والعامة[1]، عندها لم يسعهم إلا إشهار ما اطلعوا عليه، من فساد معتقده، وضلال منهجه؛ تحذيرًا من الاغترار به.

ولم يتيسر الوقوف على هذا الكتاب في صورته التي وجد عليها، لكن يُعلم من بعض نصوصه الواردة في الردود عليه أنه يتضمن الإنكار على من كفّر المستغيثين بغير الله؛ بحجة أنهم من الأمة، وأنهم يقولون «لا إله إلا الله»، وأنهم يصلون ويصومون ويبنون المساجد والمدارس، وغير ذلك من شبهات القبوريين المعروفة. كما تضمن إلى ذلك الطعن على الإمام محمد بن عبدالوهاب، والتهجم والافتراء عليه وعلى أتباعه، بما هو أشبه بالسباب والشتم[2]، ومسبته فيه للتوحيد ومن جاء به ـ كما يقول الشيخ عبداللطيف ـ حشوٌ بالزنبيل، وكذا تزكيته لعبّاد القبور، واتهامه للشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه بأنهم خوارج، وأن الشيخ ضال مضل، وأنه أجهل من أبي جهل، وأنه ضل في تخطئته صاحب البردة، وأن دعاء النبي بعد موته جائز، وأن الشيخ محمدًا بلاء على نجد وجزيرة العرب، ونحو هذا من العظائم[3].

= يناصحه فيها، ويذكر له أنهم لا يعادونه لشخصه، وإنما لما انتقد عليه في منهجه، ضمن الدرر السنية ٩/ ٣٣٢، ٣٣٣، ونحوها من والده الشيخ عبدالرحمن بن حسن في الدرر ٩/ ٢٣٠، ٢٣١.

(١) انظر الدرر السنية ٩/ ٣٣٣.

(٢) انظر النصوص المنقولة منه في «مصباح الظلام».

(٣) انظر الدرر السنية ٩/ ٣٣٣، ٣٣٤.

فالكتاب بهذا مناقض تمامًا لما في «الرد الدامغ» و«فتح الحميد»، من الثناء على الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونصرة طريقته وتقرير ما يدعو إليه، وهذا ما يحمل الباحث أول الأمر على استبعاد أن يكون لابن منصور، ويوقع في النفس أنه ربما يكون لبعض خصوم الدعوة كابن جرجيس وغيره ممن لهم موقف واحد من الدعوة، نسخه ابن منصور بيده ليرد عليه كما رد على ابن سند من قبل، أو للاطلاع، أو غير ذلك من المقاصد سوى قبول ما فيه، فضلاً عن أن يكون له، وأنه ربما نُسب إلى ابن منصور بدافع الحسد والتنافس، ويتأيّد هذا الظن لدى الباحث بتشكيك بعض الفضلاء في نسبة الكتاب إليه بأن الروايتين المذكورتين في العثور على الكتاب بعد وفاة ابن منصور على تباينهما لا تنهضان بالدلالة القاطعة على نسبته إليه[1]، ثم إن الشيخ عبداللطيف في رده على هذا الكتاب لا يصرح باسم مؤلفه في أوله، فلعله لهذا التشكك أعرض عن ذلك، وإن كانت عباراته موجهة لابن منصور قطعاً، فقد صرح باسمه في أثنائه[2]، وفيه عبارات نحو (وصاحبه ابن سند)[3]، (وقد رأيت لخدنه داود بن جرجيس)[4]، (شيخك ابن سلوم)[5]، وغيرها[6].

---

(١) انظر تعليق الدكتور عبدالرحمن العثيمين على السحب الوابلة: ٢/ ٧٠٥، ٧٠٦.
(٢) مصباح الظلام ص ٢٩٥.
(٣) مصباح الظلام ١٩.
(٤) السابق ٧٩.
(٥) السابق ١٥٧.
(٦) انظر مصباح الظلام ١٨، ٣٩، ١٥٨، والمقدم للكتاب يرى أنه ترك ذكر اسمه لأنه ليس ذا بال. انظر «مصباح الظلام» ص ٦.

إلا أن هذا الظن لا يلبث أن ينقلب إلى ضده عند الوقوف على قصيدة ابن منصور في مدح ابن جرجيس، وهي قطعاً ـ كما سيأتي ـ متأخرة عن الكتب السابقة، فيصير الميل إلى ثبوت هذا الكتاب لابن منصور أكثر منه إلى تبرئته منه، فلا يبقى للباحث إلا سلوك سبيل المقارنة بين نصوصه المثبتة في «مصباح الظلام»، وكلام ابن منصور في كتبه الأخرى، من حيث أسلوب التعبير، والمسائل والدلائل التي يرددها، ولا يسعف «فتح الحميد» كثيراً في هذا؛ فهو وإن كان أسلوبه ليس ببعيد عن «كشف الغمة»، إلا أن ندرة كلام مؤلفه فيه، وانبناء معظمه على النقول، ضيق مجال المقارنة[1]، فصار لزاماً تجشم الرجوع إلى مخطوطة «منهج المعارج» وقراءتها قراءة فاحصة متأنية، فكانت النتيجة رجحان ثبوت «كشف الغمة» لابن منصور، بل كون «منهج المعارج» لا يقل عنه نقداً للدعوة وإمامها؛ إذ سلك فيه مسلك التلميح والإشارة التي ينتبه لها الغبي قبل النبيه، بينما كان صريحاً كل الصراحة في «كشف الغمة»، مع زيادة في التهجم على الإمام وأتباعه.

وإليك فيما يلي بعض النصوص من «كشف الغمة»، مع ما يقابلها من «منهج المعارج»، لتقف بنفسك على مقدمات هذه النتيجة:

أولها أنه في «كشف الغمة» اعتبر الشيخ وأتباعه خوارج[2].

ثم في «كشف الغمة»: (وهذا الرجل ـ يعني الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ خرج في بلد قد غلب عليها أحكام الإسلام، وشيّدوا

---

(١) وإن كان فيه إشارات لا تفوت على النبيه، توافق تماما ما في «كشف الغمة»، كما في شرحه لحديث طارق بن أشيم ص ٤٤٩.

(٢) انظر «مصباح الظلام» ص ٧١.

منارهم لداعي الفلاح، وعمروا مساجدهم ومدارسهم بالأوقاف، مظهرين لشعائر الإسلام بعلمائهم، فكفرهم، وحكم على من لم يصرح بعداوتهم بالكفر..)[1].

وفيه: (ثم إن هذا الرجل جعل أهل الكويت الذين شيدوا المساجد والمنار لداعي الفلاح، وأظهروا شعائر الإسلام، وبذلوا أموالهم على ذلك، واجتهدوا في المحافظة على أعمال الخير طلباً لما عند الله - تعالى - كالذين نزلت فيهم هذه الآيات..)[2].

قارن هذه العبارات والمعاني بما سبق إيراده من مقدمة «منهج المعارج»، وبقوله فيه أيضاً: (وأنت ترى الخوارج يخرجون على أمة قائمة قابلة للإسلام، يدعون بداعي الفلاح على رؤوس المنار، وينصبون القضاة لفصل الخصومات في جميع القرى والأمصار، يعمرون بتدريس العلم فيها المدارس، ويُفصحون بالشهادتين في كل مكان وزمان حديث ودارس، يشمّر صلحاؤهم إلى كل عمل صالح، ويتجنب للرذيل منها والطالح، فلم يشعرهم وهم على ذلك إلا والخوارج لهم بالمدارك، فهل يحسن بطائفتين تلاقتا كل منهما يعلن بالأذان للصلاة في أوقاتها، ويُفصح كل منهما بالليل تحارساً بلا إله إلا الله خوف دهاتها، إلا أن يكون أحد الطائفتين خارجيا يُفصح بالتكفير للآخر ويعلن، أو باغياً يطلب ملكاً وذلك في الحقيقة على أثامته أهون...) إلى أن يقول: (فالحاصل أن الذي يقوم بتكفير أمة قائمة، ظاهرة فيها شعائر دينها، كالشهادتين، والدعاء بالأذانين على رؤوس منارها، إلى

---

(١) عن «مصباح الظلام» ص ٦٥، ٦٦.
(٢) عن السابق ص ١٣٨.

صلاتها وصيامها رمضانها وحج البيت مع استطاعتها، ونصب قضاتها في جميع أعصارها وأمصارها، ويسل بذلك عليها سيفه، أنه بذلك لم يتق حرمتها، ولم يخلف رسول الله في أمته بخير)[1].

وفي «كشف الغمة»: (. . لمّا رأى في هذه الأمة من الأحداث التي لا تزال موجودة فيها، تقل وتكثر، ولا تزال علماؤها تجدد لها دينها من الباب الواسع، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتتحاشى الدخول عليها من الباب الضيق، وهو تكفيرها الذي حذر عنه نبيها)[2].

قارن هذا بما أوردناه سابقاً من إشارته إلى الإمام محمد بن عبدالوهاب.

ومن أسلوب مؤلف «كشف الغمة» في التعجب قوله: (فيا لله العجب. .)[3]، وقد سبق في أحد النصوص المنقولة عن «منهج المعارج» استعماله له، وقد مُيّز لك هناك، كما استعمله في مواضع أخر منه[4].

وفي «كشف الغمة»: (وأنت لو قلت لأفجر الأمة: أريد منك إنكار شهادتي الإخلاص أو أحدهما وإلا قتلتك، لاختار القتل ولا إنكارهما أو أحدهما، إلا أن يعمل برخصة الله وقلبه مطمئن بالإيمان)[5].

وفيه: (ونحن نستيقن أن هذا الرجل الذي هو وصفه بالكفر، أنّ أهل بلده لو يأمرونه بألا يقول شهادتي الإخلاص، ولا يمكنه ذلك إلا

---

(١) «منهج المعارج»: (٢٦/ أ ـ ب).

(٢) عن «مصباح الظلام» ص ٢٧.

(٣) عن «مصباح الظلام» ص ٥٤، ١٤٥.

(٤) انظر «منهج المعارج»: (٣٥/ أ).

(٥) السابق: ص ٩٩.

بفراقهم لفعل)[1].

قارن هذا بما سبق إيراده[2] من نصوص «منهج المعارج»، وقد مُيز لك موضع الشاهد فيها.

وفي موضع آخر من «كشف الغمة» استخدم وصف «المارج» لدين الإمام محمد[3]، وهو وصف معهود عند ابن منصور لدين الخوارج في «منهج المعارج»، ابتداء من عنوانه.

وفي «كشف الغمة»: (وقد رأيت لابن الجوزي في تبصرته في مجلس منها متوسلاً بالنبي -ﷺ-، وفي كلام يحيى الصرصري - رحمه الله - من ذلك ما لا يُحصى، وسمّاه أبو العباس «حسّان السنة»، وأثنى عليه ولم ينكر عليه)[4].

وقد أشار في «فتح الحميد» إلى توسل الصرصري هذا، وأن أبا العباس ابن تيمية سمّاه «حسان السنة» رغم ذلك[5].

وفي «كشف الغمة»: (وقد صح عندنا أن هؤلاء في أثناء دعوتهم

---

(١) عن «مصباح الظلام» ص ١٤٩.
(٢) راجع ص ٣٩.
(٣) انظر «مصباح الظلام» ص ١٣٠.
(٤) السابق ص ١٩١، وقد وقع فيه «حسان الأمة»، وهو سبق قلم، وانظر الإشارة إلى حسان السنّة في كتاب «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم ص ٢٠٠، وانظر انتقاد ابن تيمية له في الرد على البكري ٢/ ٤٧٩.
(٥) انظر «فتح الحميد» ص ٢١٣٥، والعجب أنه أورد نظما للصرصري يشتمل على توسل بدعي، فأبدل البيت المشتمل على التوسل بما يوافق الصواب!.

أتوا إلى «المجمعة» في ناحية «سدير» فدخلوها ليلاً قبل أن يتولوا عليها، فأذنوا في أحد مساجدهم يطلبون قتل من جاء متقدماً للصلاة في المسجد، فجاءهم شُيّاب من أهل الخير فقتلوهم في المسجد)[1].

قارن هذا بقوله في «منهج المعارج»: (وقد جعلت الخوارج الأذان الذي هو من شعائر الإسلام وسيلة إلى قتل المصلين، كما فعلوا بالكوفة، يؤذنون في المسجد آخر الليل، حتى إذا جاءهم من يريد التقدم قتلوه في المسجد في ظلمة الليل)[2].

وذكر في ختام «كشف الغمة» قول الإمام محمد بن عبدالوهاب في «كشف الشبهات»: (ولا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً)، وفسره بقول الخوارج: إن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كلّه، ثم أخذ في رده مستشهداً بكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية في الإيمان الكبير، والعلامة ابن قندس[3] في حاشيته على الفروع[4].

وهذا بعينه ما ذكره عن الخوارج في «منهج المعارج»، مستشهداً بالكلام نفسه عن ابن تيمية في الإيمان، وابن قندس في حواشي الفروع[5].

---

(١) عن «مصباح الظلام» ص ٣٨٠، ٣٨١.

(٢) «منهج المعارج» ص (٢٧/ أ)، ونحوه في (٣٢/ ب).

(٣) هو حسن بن محمد بن حسن الصالحي، ت ٨٤٠، انظر «السحب الوابلة»: ١/ ٣٦٤.

(٤) انظر «مصباح الظلام» ص ٣٨٥، ٣٨٦.

(٥) انظر «منهج المعارج» (٣٨/ أ).

ونختم بهذه؛ فهي وحدها تكفي، كيف وقد اعتضدت بأخواتها السابقات، وبشهادة الأثبات الثقات؟!.

وبرجحان ثبوت الكتاب لابن منصور فإنه لا موضع لتأليفه في حياته إلا في آخرها، بعد قدوم ابن جرجيس، فيكون مما ألقاه إليه، وحثه عليه، إلا أن يقال: إنه مسوّدة كتبها إبّان مكثه في العراق، استوحاها من شبهات أشياخه من خصوم الدعوة؛ فإن في كتاب «كشف الغمة» من الهشاشة والهزالة والضعف ما لا يحسد عليه مؤلفه في أول حياته، فضلاً عن آخرها.

وقد ذكر ابن منصور في «كشف الغمة» أن له كتابين آخرين بسط فيهما القول في الرد على الإمام محمد بن عبدالوهاب، وهما:

٦ـ «**غسل الدرن عمّا ركبه هذا الرجل من المحن**»[١].

٧ـ «**تبصرة أولي الألباب**»[٢].

لكن لم نجد ذكراً لهذين الكتابين في كتب ابن منصور الأخرى أو تراجمه، وثبوتهما متلازم مع «كشف الغمة» كما ترى، والله أعلم.

وقد نقض مضمون كتاب «كشف الغمة» العلامة عبدالرحمن بن حسن في رسالة سمّيت «المقامات»، لخص فيها تاريخ الدعوة[٣]، ونقضه أيضاً العلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بكتابه الرائع

---

(١) انظر النقول التي أوردها الشيخ عبداللطيف بن حسن عن «كشف الغمة» في «مصباح الظلام» ص ٣٠، ٩٣، ١٦٢.

(٢) انظر «مصباح الظلام» ص ٣٠، ٩٣.

(٣) انظر مختصرا لها في «الدرر السنية» ٩/ ٢١٤ـ ٢٣٠، ولم يُذكر اسمها هناك.

«مصباح الظلام»، وهو بحق يعد من أنفس ما صنف في الدفاع عن دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، ورد الشبهات حولها، وبالأخص شبهة تكفير المسلمين.

كما رد عليه بكتاب آخر مختصر، اسمه «الرد المنشور على ابن منصور»[1].

٨ـ **«الجواب المفرد على أن القبلة لم تنسخ مرتين عن الإمام أحمد»**، ذكره في فتح الحميد: ص ١٤٥٣.

٩ـ **مجموع فتاوى**، أشار إليه الشيخ علي الهندي[2].

---

(١) مطبوع ضمن «الدرر السنية» ٩/ ٣٣٤ـ ٣٤٨.

(٢) انظر زهر الخمائل: ص٥.

الفصل الرابع
معتقد المؤلف

المؤلف في «فتح الحميد» و«الرد الدامغ» على معتقد أهل السنة والجماعة؛ فمتن التوحيد الذي شرحه من كتبهم المعتمدة، وقد التزم في شرحه بالمنهج العام للسلف في التقرير والاستدلال، كما يظهر بتتبع تفسيره الآيات، وشرحه الأحاديث، وعرضه الأصولَ والمسائل الاعتقادية الكبرى، كالأسماء والصفات، وتوحيد العبادة، والقضاء والقدر، وحقيقة الإيمان، وغيرها من قضايا العقيدة.

أما فيما سوى هذين الكتابين فليس فيه التعرض لكثير من مسائل الاعتقاد، وأكثره في التحذير من تكفير المسلمين والخروج على جماعتهم، وتقرير أن الاستغاثة بغير الله لا تكون شركاً إلا باعتقاد الضر والنفع من غير الله استقلالاً، وأن الكفر لا يكون إلا بالجحود، فهو بهذا ينحرف انحرافاً بيناً عن مذهب السلف، إلى مذاهب المرجئة، والقبوريين من المتصوفة والرافضة وغيرهم، وهو تبعاً لذلك غير متحمس لمبدأ الولاء والبراء، خصوصاً مع أهل البدع والخرافات.

وإليك فيما يلي تفصيلاً لأقواله في أصول الاعتقاد:

الأسماء والصفات

يرى ابن منصور أن كل ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة من الأسماء الحسنى والصفات العلا، لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها أو جحدها، بل يجب الإيمان بها وتلقيها بالتسليم والقبول

والإذعان، ويجب ترك التعرض لها بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل والنكران[1].

ويرى أيضًا أن أسماء الرب تبارك وتعالى هي أسماء ونعوت دالة على صفات كماله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه[2].

ثم يوضح أن التعامل مع آيات الصفات وأحاديثها من حيث الجملة يجب أن يكون وفق طريق أهل السنة والجاعة. وما عليه السلف من صالح الأمة من المحدثين والفقهاء والعلماء العاملين: إثبات أسماء الله الحسنى وصفاته العلا كما جاءت من غير تحريف لها ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل[3].

ويضرب لذلك أمثلة من الكتاب والسنة ناقلا عن ابن قدامة في لمعة الاعتقاد قوله:

«ومما جاء من آيات الصفات قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله عن المسيح عليه السلام أنه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وقوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ۝٣٩﴾ [طه: ٣٩]، وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقوله: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقوله في الكفار: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٦]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ

---

(١) انظر: فتح الحميد ص ١٦٢٣.
(٢) انظر: المصدر السابق ص ٤٩.
(٣) انظر: المصدر السابق ص ١٦٤٢.

بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [محمد: ٢٨]، وقوله: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

ومن السنة النزول، وقوله: «يعجب ربك من الشاب ليس له صبوة»، وقوله: «يضحك ربك ـ وفي لفظ: الله ـ إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة».

وقوله ﷺ في حديث ابن عمر الذي في البخاري وغيره في ذكر الدجال: «إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينه، وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية».

واجتهد المصنف رحمه الله في ذكر جملة من الأحاديث في هذا الباب كان آخرها ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة في الصدقة: «أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن».

ثم نقل قول ابن قدامة في لمعة الأعتقاد: «فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعُدّلت رواته، نؤمن به ولا نرده ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبّهه بصفات المخلوقين، ولا صفات المحدثين، ونعلم أن الله سبحانه لا شبيه له ولا نظير له: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالباب فالله تعالى بخلافه، ومن ذلك العلو والاستواء كما ورد به الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة»[١].

وقال في التعليق على قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ﴾ [المؤمنون: ٨٦ـ ٨٧].

---

(١) فتح الحميد ص ١٦٣٧ وبهامشه تخريج الأحاديث المذكورة.

«فالمشركون يقرون بعلوه على عرشه تعالى كما أخبر، والمعتزلة والجهمية وأتباعهم ينكرون ذلك، ويؤولون الاستواء بالاستيلاء، والاستيلاء لا يكون إلا عن قوة وقدرة ناشئة بعد عجز، فسبحان مقلب القلوب»[(١)].

وأن العرش فوق السماء السابعة، وأن الكرسي موضع القدمين والله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته لا كاستواء المخلوقين[(٢)]، كما قال الإمام مالك عندما سئل عن كيفية الاستواء فقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ولا أراك إلا ضالاً، وأمر به أن يخرج من المجلس»[(٣)].

كلام الله

ابن منصور رحمه الله يعتقد أن الله تعالى متكلم بكلام مسموع غير مخلوق، يسمعه مَنْ بعُد كما يسمعه مَنْ قرُب، بحرف وصوت، وأنه يناجي وينادي ويكلم عباده على الحقيقة.

يدل على هذا قوله: «ومن صفاته جل وعلا أنه متكلم بكلام قديم[(٤)] غير مخلوق، قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾

---

(١) انظر: المصدر السابق ص ٨٧.

(٢) انظر: المصدر السابق ص ٢٨٤.

(٣) انظر: المصدر السابق ص ١٦٤٥.

(٤) يعني قديم النوع، وإن كانت آحاده وأفراده حادثة، كما يظهر من سياق كلامه، وهكذا حيثما ورد على ألسنة الأئمة من أهل السنة وصف كلام الله بالقدم فإنما يريدون به أن الله تعالى لم يزل موصوفًا بصفة الكلام، لم تحدث له بعد أن كان مجردًا منها. ولا يعنون بهذا نفي تعلق كلامه بمشيئته، بل يعتقدون أنه يتكلم إذا شاء، ويسكت إذا شاء، كما تقتضيه حكمته سبحانه.

[النساء: ١٦٤]، وقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، وقال سبحانه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقال: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١١ـ ١٢]، وقال: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه: ١٤]. وغير جائز أن يقول هذا غير الله سبحانه»[١].

«ومن ذلك نداء الرب تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الشعراء: ١٠]، وقال: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢]، وقال: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ﴾ [القصص: ٤٤]، وكذا مناداة رسله له كقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾ [هود: ٤٥]، ومناداته سبحانه عباده في الآخرة، وكلامه مع جبريل عليه السلام، ونداء الملائكة، في أحاديث صحاح كثيرة شهيرة يطول عدها، كما في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعًا: إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل... الحديث»[٢].

وفيهما عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «يقول الله: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك. فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار»[٣].

القرآن كلام الله غير مخلوق

وعقيدة ابن منصور رحمه الله في القرآن أنه كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، يدل على هذا نقله قول ابن قدامة في لمعة الاعتقاد

---

(١) انظر: المصدر السابق ص ١٦٣٨، ١٦٣٩.
(٢) انظر: المصدر السابق وبهامشه تخريج الحديث.
(٣) انظر: المصدر السابق وبهامشه تخريج الحديث.

مع شيء من التصرف: «ومن كلامه تعالى هذا القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فهو كتابه المبين وحبله المتين، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين، بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

وهو سور محكمات، وآيات بينات، وحروف مقطعات وكلمات، من قرأه فأعربه فله بكل حرف منه عشرة حسنات، له أول وآخر وأجزاء وأبعاض، متلو بالألسنة محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان، مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه، ومنسوخ وناسخ، وخاص وعام، وأمر ونهي، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]»(١).

رؤية المؤمنين لله يوم القيامة

يعتقد ابن منصور رحمه الله أن الله يُرى يوم القيامة، يراه المؤمنون دون الكافرين، يدل على ذلك قوله: «أجمع أهل السنة والجماعة بأجمعهم على رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة، وأنها غير مستحيلة عقلاً، وأنكر ذلك طوائف من المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة من المبتدعة»(٢).

«وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة فمن بعدهم

---

(١) لمعة الاعتقاد ص ١٦، ١٧، والجدير بالذكر أن المؤلف ينقل عنها دون عزو، فيوهم أن الكلام له، بل يصدّره بقوله: «قلت».

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٧.

من سلف الأمة، على إثبات رؤية الله سبحانه في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحو من عشرين صحابيًا عن رسول الله ﷺ، وآيات القرآن في ذلك مشهورة، واعتراضات المبتدعة عليها بألسنة أهل السنة مدحضة منثورة»[١].

الإيمان بالقدر

يعتقد أن هذا الباب قد زلت فيه أقدام، وتاهت فيه أحلام وأفهام، ولم يسلم من ذلك إلا أهل السنة والجماعة فهم «وسط بين طرفين، طرف أنكروا القدر وجعلوه أُنُفًا، فسُمّوا بذلك القدرية؛ لأنهم غلب عليهم ذكر ما أنكروه فنسبوا إليه.

وطرف آخر غلوا في إثبات القدر زيادة عن الحد الذي حده الله ورسوله وهم الجبرية، وكانوا أولى بتسميتهم القدرية لغلوهم في ذلك وتعديهم الحد، وسموا الجبرية لزعمهم أن العباد مجبورون مقهورون على ما يصدر منهم لا قدرة لهم ولا اختيار، وهذا خلاف القرآن والسنة والإجماع والفقه واللغة والنظر الصحيح»[٢].

وينقلا عن ابن رجب جعله الإيمان بالقدر درجتين:

«إحداهما: الإيمان بأن الله تعالى سبق في علمه ما يعمله العباد من خير وشر وطاعة ومعصية قبل خلقهم وإيجادهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو منهم من أهل النار، وأعد لهم الثواب والعقاب جزاء لأعمالهم قبل خلقهم وتكوينهم، وأنه كتب ذلك عنده وأحصاه، وأن أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) فتح الحميد ص ١٩٠٥.

الدرجة الثانية: أن الله تعالى خلق أفعال عباده كلها، من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان، وشاءها منهم.

فهذه الدرجة أثبتها أهل السنة والجماعة وينكرها القدرية، والدرجة الأولى أثبتها مع أهل السنة كثير من القدرية، ونفاها غلاتهم كمعبد الجهني الذي سئل ابن عمر رضي الله عنه عن مقالته، وكعمرو بن عبيد وغيره».

وقد قال كثير من أئمة السلف: ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا، وإن جحدوه كفروا.

يريدون أن من أنكر العلم القديم السابق بأفعال العباد، وأن الله قسمهم قبل خلقهم إلى شقي وسعيد، وغوي ورشيد، وكتب ذلك عنده فوق العرش في كتاب حفيظ، فقد كذب بالقرآن فيكفر بذلك. وإن أقرّ بذلك وأنكر أن الله خلق أفعال العباد وشاءها وأرادها إرادة كونية قدرية فقد خصموا، لأن ما أقرّوا به حجة عليهم فيما أنكروه[(١)].

وأن من تمام الإيمان الرضا بقضاء الله وقدره والتسليم به، والصبر عند البلاء[(٢)]، وأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

حديث خلق الله آدم على صورته

يرى ابن منصور أن هذا الحديث ليس من باب الصفات في شيء،

---

(١) انظر: فتح الحميد ص ١٩٢٧ وبهامشه ترجمة معبد الجهني وعمرو بن عبيد. وانظر جامع العلوم والحكم لابن رجب: ١/١٠٣.

(٢) انظر: فتح الحميد ص ١٤٧٧.

وأن هذا الحديث مما تعلق به أهل التمثيل والتكييف والتجسيم، يدل على ذلك قوله «وأما ما يتعلق به أهل التشبيه والتمثيل والتكييف والتجسيم من مذهبهم في ذلك من الحديث الصحيح الذي عند الإمام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خلق الله آدم على صورته»[(١)].

وفي لفظ: «لا تقولوا قبح الله وجهك»، وفي لفظ: «لا تقبحوا الوجه»، وفي لفظ: «إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته»، فليس هذا من باب الصفات في شيء».

ثم قال: «وقد أخرج أبو حاتم[(٢)] هذا الحديث بلفظ الصحيحين عن أبي هريرة في صحيحه وقال: هذا الخبر تعلق به من لم يُحكم صناعة العلم، وأخذ يشنّع على أهل الحديث الذين ينتحلون السنن، ويذبّون عنها، ويقمعون من خالفها بروايتهم له... ونحن نقول إن أخبار المصطفى ﷺ إذا صحت من جهة النقل لا تتضاد ولا تتهاتر، ولا تنسخ القرآن، بل لكل خبر معنى معلوم بعلم، وفصل صحيح يُعقل، يعقله العالمون، فمعنى الخبر عندنا بقوله ﷺ: «خلق الله آدم على صورته»: إبانة فضل آدم على سائر الخلق، والهاء راجعة إلى آدم، والفائدة من رجوع الهاء إلى آدم دون إضافتها إلى البارىء جلا وعلا، جل ربنا وتعالى عن أن يشبّه بشيء من المخلوقين، أنه جل وعلا جعل سبب الخلق الذي هو المتحرك النامي بذاته اجتماع الذكر والأنثى، ثم زوال الماء عن قرار الذكر إلى رحم الأنثى، ثم تغيّر ذلك إلى العلقة بعد

---

(١) انظر: ص ١٦٦٢ حيث خرج الحديث.

(٢) يعني ابن حبان.

مدة، ثم إلى المضغة، ثم إلى الصورة، ثم إلى الوقت الممدود فيه، ثم الخروج من قراره، ثم الرضاع، ثم الفطام، ثم المراتب الأخر، على حسب ما ذكرنا إلى حلول المنية به، هذا وصف المتحرك النامي بذاته من خلقه.

وخلق الله جل وعلا آدم على صورته التي خلقه عليها، وطوله ستون ذراعًا من غير أن تكون تقدمة اجتماع الذكر والأنثى، أو زوال الماء، أو قراره، أو تغير الماء علقة، أو مضغة، أو تجسيمه بعده، فأبان الله بهذا فضله عن سائر من ذكرنا من خلقه»[1].

ثم ذكر بعد ذلك أن شيخ الإسلام رحمه الله مال إلى أن الضمير في الحديث راجع إلى الله سبحانه، يدل على ذلك قوله:

«وقد جنح شيخ الإسلام قدس الله روحه إلى أن الهاء راجعة إلى الله سبحانه، وكأنه لاحظ الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثني أبو معمر حدثنا جرير عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن». ورواه من وجه آخر عن أبي هريرة بمعناه، وهذا إسناد جيد إن لم يكن فيه علة»[2].

وما رجحه ابن منصور مخالف لما عليه السلف من القرون الثلاثة المفضلة.

قال شيخ الإسلام: «لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير في هذا الحديث عائد إلى الله تعالى، فإنه مستفيض من طرق

(١) انظر: ص ١٦٦٧.
(٢) انظر: ص ١٦٦٩.

متعددة عن عدد من الصحابة، وسياق الأحاديث كلها يدل على ذلك»[1].

«ولكن لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة جعل طائفة الضمير فيه عائدًا إلى غير الله تعالى، حتى نقل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسنة في عامة أمورهم، كأبي ثور، وابن خزيمة، وأبي الشيخ الأصبهاني، وغيرهم، ولذلك أنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السنة.

قال الشيخ أبو الحسن محمد بن عبدالملك الكرجي الشافعي في كتاب الفصول في الأصول: فأما تأويل من لم يتابعه عليه الأئمة فغير مقبول، وإن صدر ذلك التأويل عن إمام معروف غير مجهول، نحو ما ينسب إلى أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في تأويل الحديث: «خلق الله آدم على صورته».

فإنه يفسر بذلك التأويل، ولم يتابعه عليه من قبله من أئمة الحديث كما روينا عن أحمد رحمه الله، ولم يتابعه أيضًا من بعده»[2].

الإيمان

نهج ابن منصور في الإيمان منهج السلف رحمهم الله، فهو عنده تصديق بالقلب ونطق باللسان، وعمل بالجوارح والأركان[3]، وأن

---

(١) انظر: نقض التأسيس، ابن تيمية، قطعة منه مخطوطة لم تطبع بعد، أدرجها الشيخ عبدالله الغنيمان في كتابه شرح التوحيد من صحيح البخاري (١/ ٥).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/ ٥٤٠).

(٣) انظر: فتح الحميد ١٤٣١ وما بعدها منهج المعارج في أخبار الخوارج (٣٤/ ب)، الرد الدامغ (٣/ أ).

الأعمال داخلة في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازًا[1]، وأن الإيمان يزيد وينقص كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه كثيرة جدًا، اجتهد المصنف في استيعابها إلى جانب الآثار السلفية عن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان[2].

وأن الإيمان شعب متعددة، أعلاها كما في الخبر: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان».

وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزواله كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتًا عظيمًا، منها ما يقرب من شعبة الشهادة، ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى[3].

وأن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان، وأن كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنًا[4].

ويرى أن صاحب الكبيرة غير خارج بها من دائرة الإيمان كلية كما تقول الخوارج والمعتزلة، ولا مؤمن كامل الإيمان كما تقول غلاة المرجئة، بل هو مؤمن ناقص الإيمان، وأمره إلى الله يوم القيامة إن لم يتب، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، إذ لا يخلد في النار إلا من كفر

---

(١) انظر: فتح الحميد ص ١٣١٩.
(٢) انظر: المصدر السابق ص ١٤٣١ وما بعدها.
(٣) انظر: المصدر السابق، منهج المعارج في أخبار الخوارج (٣٣/ ب، ٣٤/ أ).
(٤) انظر: المصدر السابق (١٤٠/ أ).

أو أشرك[1]. ومن اعتقد الإيمان في قلبه ونطق به بلسانه فقد وُفِّق، سواء استدل أو لم يستدل، وهو مؤمن عند الله تعالى وعند المسلمين، قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

فلم يكلف الله عباده الاستدلال والنظر، ولا سأل النبي ﷺ الناس عن ذلك ولا أوجبه على أحد[2].

يدل على ذلك قوله: «يجب على كل مكلف معرفة الله تعالى بالدليل، لا على طريقة المتكلمين من تحرير الأدلة وتدقيقها، كما ذهب إليه الأشعرية والمعتزلة من أنه لا يصح الإيمان إلا بذلك»[3].

ثم أشار رحمه الله إلى أن قائل هذا القول يلزمه تكفير عوام المسلمين، وهم كما هو معلوم غالب المؤمنين، ثم إن «النبي ﷺ لم يطالب أحدًا بشيء سوى التصديق الجازم، مع التلفظ بالشهادتين، والعمل بمقتضاهما، وكذلك الخلفاء الراشدون، ومن سواهم من الصحابة فمن بعدهم من الصدر الأول»[4].

الشفاعة

ويعتقد أن الشفاعة في القرآن على قسمين: شفاعة مثبتة، وشفاعة منفية، وأن المثبتة لأهل الإخلاص أهل «لا إله إلا الله»، وأن الشفاعة المنفية لأهل الشرك والكفر.

---

(١) انظر: فتح الحميد ص ١٣٢٠. منهج المعارج في أخبار الخوارج (٣٨/ أ).
(٢) انظر: فتح الحميد ص ١٤٥٣ وما بعدها.
(٣) انظر: فتح الحميد ص ٩٣.
(٤) المصدر السابق.

يدل على ذلك قوله: «الشفاعة التي نفاها القرآن هي الشفاعة الشركية التي يعرفها الناس ويفعلها بعضهم، فهي التي أطلق نفيها سبحانه في كتابه، وضدها المثبتة بإذنه ورضاه، التي أسعد الناس بها يوم القيامة أهل التوحيد الذين جردوه وخلصوه من شوائب الشرك، وهم الذين ارتضى الله سبحانه، ولهذا قال: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[1] [سورة طه: ١٠٩].

وأن الشفاعة المثبتة لا تكون إلا بإذن الله تعالى لقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ولا تكون أيضًا لشخص لا يرضاه لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [طه: ١٠٩][2].

«وسر ذلك أن الأمر كله لله وحده فليس لأحد من الأمر شيء، وأعلى الخلق وأكرمهم عنده الرسل والملائكة المقربون، وهم عبيد لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه ولا يفعلون من شيء إلا من بعد إذنه وأمره»[3].

وأن الشفاعة ثابتة للنبي ﷺ والأنبياء والملائكة والمؤمنين بعضهم لبعض، وكذلك لأطفال المؤمنين حال وفاتهم لآبائهم، وللشهداء، دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع السلف، تفضلاً منه سبحانه وإكرامًا لعباده، يدل على ذلك قوله: «وحاصل الكلام في ذلك أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم ذنوبهم، بواسطة دعاء من أذن له الرب سبحانه من نبي، أو ولي، أو صبي، أو صدّيق، أو شهيد، أن

---

(١) فتح الحميد ص ٧٨١.
(٢) المصدر السابق ص ٧٧٨.
(٣) المصدر السابق.

يشفع، ليكرمه الباري جل وعلا بذلك، فيجعله بإذنه شفيعًا، كسيد البشر ﷺ، ولكي ينال بذلك تفضلاً منه سبحانه المقام المحمود الذي وعده في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، يحمده به الأولون والآخرون، وهي الشفاعة العظمى، وسيفعل تبارك وتعالى به ذلك، إنه كان وعده مفعولا»[١].

اللعن والتكفير

وكان اعتقاده رحمه الله في اللعن والتكفير يتفق في الجملة مع ما عليه جمهور أهل السنة والجماعة، من جواز لعن أهل المعاصي على العموم من غير تعيين، كما ثبت في السنة من لعن الواصلة والمستوصلة وآكل الربا ونحو ذلك، يدل على ذلك قوله: «ومن أطلق الشارع كفره من الأمّة لم نتعد فيه ما قاله علماء السلف كما هو معلوم في مواضعه، ولا نكفر منها معينًا في دائرة بلاد الإسلام، وقد فعل أو قال ما يوجب الكفر، إلا بعد البيان والتوضيح بأن يتضح له أن ما يقوله أو يفعله مضاد لشهادتي الإخلاص، إلا بما كان معلومًا بالاضطرار مضادته لهما، كسبّ الله تعالى، أو استهزاء به، أو بآياته، أو رسله، أو كتبه، فإن فاعل ذلك يكفر إجماعًا، سواء كان مازحًا أو جادًا، وقد جزم أبو الوفاء بن عقيل بأن من وجد منه امتهان القرآن أو خفْضٌ منه، أو طلب تناقضه، أو دعوى أنه مختلف أو مقدور على مثله، أو إسقاطٌ لحرمته، كل ذلك دليل على كفره، فيقتل بعد الاستتابة»[٢].

---

(١) المصدر السابق ص ٧٩٨.

(٢) انظر: منهج المعارج، ابن منصور (١٧/ أ)، وقول ابن عقيل هنا: «كل ذلك دليل على كفره» إن أراد أنه كفر ظاهر ملازم للكفر الباطن ودال عليه فهو =

وسيتضح للقارىء إن شاء الله تعالى من الفصل التالي أن هذا القيد الذي شدد عليه الشارح هنا وما ترتب عليه في مسألة التكفير هو محور الخلاف بينه وبين أئمة الدعوة، فهو يشترط في قيام الحجة على من ارتكب ناقضًا من نواقض الشهادتين قناعته بمضادّة فعله للشهادتين، إلا إن كانت هذه المضادّة معلومة بالاضطرار كما ذكر، والإشكال عنده أنه لا يجعل الاستغاثة بالأموات مضادة للشهادتين بالضرورة لشبهة التوسل، ولو فعل ذلك لعاد الخلاف في هذه المسألة لفظيًا.

وقال رحمه الله في التعليق على قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]: «وفي هذا أقوى دليل على عدم جواز لعن المعين، خلافًا لمن أجازه مستدلاً بما في الكتاب والسنة من اللعن المطلق، وليس في ذلك دليل على لعن المعين، إذ غايته أن يمشي في ذلك مع النص فيقال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، و«لعن الله من لعن والديه، لعن الله من غير منار الأرض»، ونحو ذلك من النصوص في ذلك، وهذا جائز بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

وأما لعن المعين فهو يستلزم الإبعاد والطرد عن رحمة الله، واليأس منها، وذلك نوع من التألي على الله سبحانه، وهو لا يجوز»[١].

ويقرر رحمه الله عدم جواز الشهادة لأحد لم يشهد له الكتاب

= حق، وإن أراد أنّ هذه الأعمال ليست كفراً، وإنما كان الكفر بما دلت عليه من الاعتقاد الباطن، فهذا من قول المرجئة، الذين يحصرون الكفر في الاعتقاد دون العمل.

(١) انظر: فتح الحميد ص ٧٣٠.

ويقرر رحمه الله عدم جواز الشهادة لأحد لم يشهد له الكتاب والسنة بجنة أو نار، بل يُرجى للمحسن السلامة، ويُخشى على المسيء من أعماله[١]، فلا يُشهد لمعين من أهل القبلة بالنار، لجواز ألا يلحقه الوعيد لفوات شرط، أو ثبوت مانع، فقد لا يكون التحريم بلغه، وقد يتوب من فعل المحرم ونحو ذلك[٢].

الصحابة

يعتقد رحمه الله تولي أصحاب رسول الله ومحبتهم، وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عما شجر بينهم، فهم خير الأمة، وأفضلهم أبوبكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة: طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبدالرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح. وأهل بدر فضلهم غير منكر، وكذلك أهل بيعة الرضوان، وأزواج النبي ﷺ رضي الله عنهم أجمعين[٣].

الجماعة والإمامة

ويعتقد رحمه الله وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر، والصبر على جور الأئمة وظلمهم، وأنه لا يجوز الخروج عليهم، وأن ذلك من فعل الخوارج والبغاة، وأن إقامة الحدود حق لولي الأمر أو نائبه لا يجوز الافتئات عليه، وأن أولى الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ أبوبكر الصديق

---

(١) انظر ص ٢١٤٢.

(٢) المصدر السابق ص ١٨٣٦.

(٣) المصدر السابق ص ١٥٥٨، ٢١٤٨.

رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه ثم عثمان رضي الله عنهم أجمعين[١].

السمعيات

يعتقد ابن منصور الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ وصح به النقل عنه، من الأمور الغيبية التي لم نطلع على حقيقة معانيها، مثل حديث الإسراء والمعراج، وأنه كان يقظة لا منامًا[٢]، ومن ذلك أشراط الساعة مثل خروج المهدي وأنه من ولد الحسن لا الحسين كما تزعم الرافضة، يصلحه الله في ليلة، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا[٣]، وخروج الأعور الدجال، وأن عيسى بن مريم عليه السلام ينزل في آخر الزمان ويقتل الدجال بيديه، ثم يصلي خلف المهدي تكرمة لهذه الأمة، وخروج الشمس من المغرب[٤].

وعذاب القبر ونعيمه حق، وفتنة القبر حق، وسؤال الملكين حق[٥]، والبعث بعد الموت حق، وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[٦] [يس: ٥١].

ويحشر الناس حتى يشفع فيهم نبينا محمد ﷺ[٧]، والميزان له كفتان حقيقة لا مجازًا كما يقول من خرج عن حقائق الشريعة بتحريف

---

(١) فتح الحميد ص ٢١٤٨.
(٢) المصدر السابق ص ٢١٤٤.
(٣) المصدر السابق ص ١٢٤ وما بعدها.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق ص ٢١٣٩.
(٦) المصدر السابق.
(٧) المصدر السابق.

الكلم عن مواضعه[1]، والصراط حق يجوزه الأبرار، ويزل عنه الفجار[2].

والجنة حق والنار حق، مخلوقتان موجودتان الآن، لا تفنيان وما فيهما من النعيم والنيران، ولا من يدخلهما من الإنس والجان[3].

وبعد الحساب يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح بين الجنة والنار فيذبح، كما صح بذلك الخبر[4].

النبوات

يقرر ابن منصور عموم رسالة المصطفى ﷺ إلى الإنس والجن، وهذه إحدى الخصائص التي انفرد بها النبي ﷺ عن الأنبياء قبله، إذ كان النبي إنما يبعث إلى قومه خاصة، وأرسل المصطفى إلى الناس كافة، على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأديانهم.

يدل على ذلك قوله: «محمد ﷺ أرسل بالهدى ودين الحق إلى كافة الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] من الإنس والجن إجماعًا»[5].

وأن دين الإسلام وشريعة المصطفى عليه الصلاة والسلام ناسخة لجميع الشرائع والأديان السابقة، وهذا مما اختص به النبي ﷺ أيضًا على سائر الأنبياء قبله، فقد يجتمع بالعصر الواحد نبيان، يدعو كل

---

(١) فتح الحميد ص ٢٨٢.
(٢) المصدر السابق ص ٢١٤٠.
(٣) المصدر السابق ص ٢١٤١.
(٤) المصدر السابق ص ٢١٤١.
(٥) انظر: فتح الحميد ص ٧٦.

منهما إلى شريعة تخصّه، ولا يدعو الأمة التي بعث فيها غيره، ولا ينسخ ما جاء به الآخر من الشرائع، فهذه خصيصة للنبي ﷺ لم تكن لأحد قبله.

الاستغاثة بغير الله

يعتقد ابن منصور أن الاستغاثة بغير الله، أو دعاء غيره، من أعظم المحرمات؛ فالله لم يشرع لعباده أن يدعوا أحدًا من الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، ولا رخص بذلك رسول الله ﷺ، يدل على ذلك قوله بعد تضعيفه لحديث: «يا عباد الله احبسوا»:

«فأما أن يُستدل به على الاستغاثة بالغائب أو الميت، فهذا لا يقوله من له رائحة بقواعد الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة، فإن الله لم يشرع ولا رسوله أن يُنادى ميت أو غائب في قُطْر من الأرض الشاسعة، نبيًا كان أو وليًا، صالحًا أو طالحًا، بل يقال لمن ادعى ذلك: سبحان الله هذا بهتان عظيم، إذ لا حديث فيه عن رسول الله ﷺ فيستمع، ولا قول لمن يعتبر قوله فيتبع»[1].

وينقل بتصرف عن ابن تيمية قوله في الرد على البكري: «فعلم بذلك أن الله لم يشرع لأحد أن يقول لميت: أنا في حسبك أو أنا في جوارك، ولا أن يقول للميت سل الله لي، ولا: ادع الله لي، ولا شرع لهم أن يشكوا لميت البتة، مثل أن يقول أحدهم مشتكيًا إلى الميت: عليّ دينٌ، أو آذاني فلان، ونحو ذلك، سواء كان عند القبر أو بعيدًا عنه، وسواء كان الميت نبيًا أو غيره، ونحن نعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ لم يشرع

---

(١) انظر: فتح الحميد ص ٧٠٢.

لأمته أن يدعوا أحدًا من الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين، ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع السجود لميت أو إليه، بل نعلم أنه نهى عن ذلك كله، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله سبحانه، وكذا رسوله»[1].

وقال أيضًا: «وأما سؤال الميت، والغائب نبيًا كان، أو غير نبي، فمن المحرمات باتفاق المسلمين، وهذا أيضًا مما يعلم بالاضطرار كما مر من دين المسلمين، بأن أحدًا منهم ما كان يقول إذا نزلت به نازلة، أو عرضت له حاجة، لميت أو غائب: يا سيدي فلان: أنا في حسبك، أو: اقض حاجتي.

كما يقوله المشركون لمن يدعونهم من الموتى والغائبين، ولا أحد من الصحابة رضي الله عنهم استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره من الأنبياء عليهم السلام»[2].

التوسل

ينقسم التوسل من حيث المشروعية إلى قسمين: مشروع مرغّب فيه، ومبتدع منهي عنه.

أولاً: التوسل المشروع:

وهو التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى، أو صفة من صفاته العليا كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك أنت

---

(١) المصدر السابق ص ٧٠٨، ٧٠٩، وانظر الرد على البكري ص ٥٠٧، ٧٣١.

(٢) المصدر السابق ص ٧١١ وأصل الكلام لابن تيمية في الرد على البكري ١/ ٤٤٨، والمؤلف ينقل عنه بتصرف.

الرحمن الرحيم، اللطيف الخبير أن تعافيني ونحو ذلك، ودليل مشروعية هذا التوسل قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وأدعية النبي ﷺ الثابتة الصحيحة فيها من هذا النوع كحديث الاستخارة ودعاء الهم وغير ذلك.

ومن أنواع التوسل المشروع التوسل إلى الله بعمل صالح قام به الداعي. كأن يقول المسلم: اللهم بإيماني بك ومحبتي لك واتباعي لرسولك اغفر لي، ونحو ذلك، ومن أدلة مشروعية هذا التوسل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦﴾ [آل عمران: ١٦].

ومن السنة حديث قصة الثلاثة أصحاب الغار[١].

النوع الثالث من التوسل المشروع: التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح، ومن هذا الباب استسقاء الصحابة بالنبي ﷺ عندما أصابهم الجدب في حياته، وبعد وفاته ﷺ بعمه العباس كما في حديث عمر بن الخطاب[٢].

ثانيًا: التوسل المبتدع:

وهو التوسل بالذوات الصالحة، مثل أن يقول الشخص: اللهم إني أسألك بجاه الرسول، أو بحرمة فلان الصالح، أو بحق الأنبياء والمرسلين، أو بحق الأولياء والصالحين[٣].

---

(١) انظر صحيح البخاري (٢١٥٢).

(٢) انظر تخريج الحديث ص ٢٠٢٦.

(٣) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ابن تيمية، وشرح الطحاوية، ابن أبي العز (١/ ٢٩٤ـ ٣٠٠).

وابن منصور تبعًا لمن سبقه من أهل الاعتقاد السليم يميل إلى هذا التقسيم ويقرره، يدل على ذلك قوله مقتبسا من ابن تيمية في الاقتضاء: «فإن قال مجيز الإقسام على الله بخلقه: الأنبياء والمؤمنون لهم حق على الله.

قيل: نعم لهم حق على الله بوعده الصادق لهم، وكلماته التامة، ورحمته لهم، أن ينعّمهم ولا يعذبهم، وهم وجهاء عنده يقبل من شفاعتهم ودعاءهم ما لا يقبله من دعاء غيرهم.

فإذا قال الداعي: أسألك بحق فلان وفلان.

ففلان لم يدع له، ولم يسأله سبحانه باتباعه لذلك الشخص ومحبته وطاعته بل بنفس ذاته وماجعله له ربه من الكرامة. فلم يكن قد سأله بسبب يوجب المطلوب، وحينئذ فيقال: أما التوسل والتوجه إلى الله وسؤاله بالأعمال الصالحة التي مر بها كدعاء الثلاثة الذين آووا إلى الغار بأعمالهم الصالحة وبدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم.

فهذا كما قال شيخ الإسلام أبو العباس قدس الله روحه مما لا نزاع فيه، بل هذا من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]»[١].

ونقل أيضا قول ابن تيمية مقرًا له في معرض نقده للتوسل المبتدع وتوهين ما استدلوا به:

«فالوسيلة التي أمر الله بابتغائها تعم الوسيلة في عبادته وفي مسألته،

(١) فتح الحميد، ابن منصور ص ٢٠١٨ وانظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية: ١/ ٤١٠.

فالتوسل إليه بالأعمال الصالحة التي أمر بها، وبدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم، ليس هو من باب الإقسام عليه بمخلوقاته، كما كان الصحابة رضي الله عنهم يستسقون ويتوسلون بالنبي ﷺ في حياته وبعمه بعد وفاته، كما صح ذلك عن الفاروق رضي الله عنه في الصحيحين وغيرهما.

وليس المراد بهذا أنهم رضي الله عنهم يقسمون عليه سبحانه به ولا بعمه، أو بما يجري هذا المجرى مما يفعل بعد موته وفي مغيبه، كما يقول بعض النساك: أسألك بجاه فلان عندك، ويقولون: نتوسل إلى الله بأنبيائه، ويروون حديثًا موضوعًا «إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عريض».

فلو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه كما ذكر عمر لفعلوا ذلك بعد موته ولم يعدلوا إلى عمه مع علمهم بأن السؤال به والإقسام أعظم من العباس. فعلم أن ذلك التوسل الذي ذكروه وهو مما يفعل بالأحياء دون الأموات أنه هو التوسل بدعائهم وشفاعتهم، فإن الحي يطلب منه ذلك والميت لا يطلب منه شيء لا دعاء ولا غيره»[1].

ونقل عنه أيضًا في معرض رده على المجيزين للتوسل بذات النبي ﷺ بأن عدم ذهاب الصحابة إلى قبر النبي ﷺ واستسقاءَهم بعمه العباس وبغيره من الصحابة ليس فيه استنقاص للنبي ﷺ، وإنما هو تجريد للتوحيد الذي بعث به النبي ﷺ: «وقد أجدب الناس على عهد عمر رضي الله عنه فاستسقى بالعباس كما كانوا يستسقون بالنبي ﷺ في حياته، وهو أنهم يتوسلون بدعائه وشفاعته لهم فيدعو لهم ويدعون معه

---

(١) فتح الحميد ص ٢٠١٩ وانظر الاقتضاء لابن تيمية ١/ ٤١٤.

كالإمام والمأمومين، من غير أن يكونوا يقسمون على الله بمخلوق، كما ليس لهم أن يقسم بعضهم على بعض بمخلوق، ولهذا لما مات، ﷺ توسلوا بالعباس واستسقوا به.

ولهذا قال الفقهاء رحمهم الله تعالى يستحب الاستسقاء بأهل الخير والدين والصلاح، والأفضل أن يكونوا من أهل البيت، وقد استسقى معاوية رضي الله عنه بيزيد بن الأسود الجرشي وقال: اللهم إنا نستسقي بيزيد بن الأسود، يا يزيد ارفع يديك، فرفع يديه، ودعا الناس حتى أمطروا.

ولم يذهب أحد من الصحابة رضي الله عنهم إلى قبر نبي ولا غيره فيستسقي عنده ولا به، ولا أقسم به على الله تعالى البتة، وليس هذا باستنقاص للنبي ﷺ، وإنما هو تجريد للتوحيد الذي بعث به ﷺ، ولا أيضًا هضمًا من حقه، فإن حقه صدق متابعته ﷺ»[(١)].

موقفه من البدع وأهلها

جرى ابن منصور في هذا الشرح على طريقة أئمة أهل السنة والجماعة في التحذير من الوقوع في البدع والأهواء المضلة، ووجوب هجر أهل الزيغ والضلال وعدم مجالستهم، حيث عقد فصلاً في كتابه فتح الحميد أبان فيه مبدأ نشأة البدع في الأمة الإسلامية، وحذر فيه من بدعة الاعتزال والقدر والإرجاء والخروج والجبر والرفض، وحذر فيه من الخوض في الكلام، وذكر فيه توبة أساطين الكلام وروجوعهم عنه كأبي المعالي الجويني إمام الحرمين، والفخر الرازي وغيرهم[(٢)].

---

(١) فتح الحميد ص ٢٠٣١ وانظر اقتضاء الصراط: ١/٣٩٨.

(٢) المصدر السابق ص ٩٧ وما بعدها.

إلا أنه أُخذ عليه اتصاله ببعض المناوئين للدعوة السلفية، وهو ما يمكن اعتباره تساهلاً منه في مبدأ الولاء لأهل السنة والبراءة من أهل البدعة كما سيتبين من الفصل التالي.

هذه بعض جوانب عقيدة الشارح التي ظهرت من خلال مؤلفاته، وهناك جوانب أخرى كثيرة تتعلق بتوحيد الألوهية الذي هو موضوع الكتاب يمكن تأملها من خلال قراءة الكتاب.

الفصل الخامس
علاقة المؤلف بعلماء الدعوة الإصلاحية وخصومها

تقرر من الفصول السابقة أن ابن منصور كان حريصاً على إظهار ولائه وثنائه على الدعوة وعلمائها وولاتها، إلا أننا نجد علماء الدعوة المعاصرين لابن منصور يطعنون في صدق انتمائه للدعوة، ومن أشهرهم الشيخ العلامة عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، وابنه الشيخ العلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمهم الله جميعًا[1].

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن في رسالة أفردها لبيان حال ابن منصور:

«بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران].

وبعد: فإنه قد بلغنا عمن لا نتّهم، عن عثمان بن منصور أنه كتب له نسخة نال فيها من إمام الدعوة الإسلامية، محمد بن عبدالوهاب، ومن تابعه على ملة الإسلام، أنهم كالخوارج، يكفّرون المسلمين، وذكرت ذلك للإمام فيصل بن تركي، فاستبعد هذا، واتهم القائل.

فلما حضر ابن منصور، حلف بالله جهد أيمانه أنه لم يقل ولم يكتب ذلك، ولعله تأول للإمام، وكنت لا أُبعده عن ذلك وإن حلف، لما قد

---

(١) انظر: الدرر السنية (١١/ ٥١٢، ٥٣٣، ٥٤٧، ٥٥٤، ٥٧٥)، (١٢/ ٢٩١، ٢٩٦).

استبان لي من أحواله، مع شهادة من هو أصدق منه.

فلما استقضاه الإمام على أهل سدير، لكونهم طلبوه، أظهر ذلك تنفيرًا لهم عن جماعة المسلمين، وتغييرًا للأمر الذي قد عرفوه من الدين، ليصدفهم عنه، وعن متابعة أهل الإسلام والدخول في جماعتهم، فوقعت تلك في يد بعض من أنكرها من المسلمين، فبعث بها إلينا، فإذا هي تشتمل على أمور:

أحدها: أن المسلمين القائمين بهذا الدين بعد غربته، ودروس معالمه، قد زعم: أنهم أهل بدعة، كالخوارج الذين يكفّرون بالذنوب، لاعتقاده أن ما يفعل عند القبور من عبادة الأموات، ليس بشرك يكفر فاعله، وأنهم وإن فعلوا ذلك فهم مجتهدون مخطئون، وأن أولئك الذين يقع فيهم مثل ذلك، هم الجماعة الذين وردت الأحاديث في وعيد من فارقهم، وساق الأحاديث الواردة في الخوارج وفيمن فارق الجماعة.

وجعل هذه الطائفة الذين يأمرون بالتوحيد، ويدعون إليه، وينهون عن الشرك، ويقاتلون عليه، كالخوارج الذين يكفّرون الصحابة، وأنهم فارقوا الجماعة»[1].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن رحمه الله في رسالة بعثها لابن منصور حال حياته:

«فأخبرني الثقة بالجرح والتعديل، الخبير بما قد شاع عنك من القيل: أن صاحب الخط ينتمي إلى ممارسة العلوم، المنقول منها والمفهوم، غير أنه قد نسب عنه هفوات، إن صحت فهي من عظائم

---

(١) الدرر السنية (١١/ ٥٤٧ـ ٥٤٨).

المعضلات، ولم نقف لها على تصحيح يعتمد، ولم نلتفت إلى البحث في متنها والسند، اكتفاء بإعراضه عن الابتهاج بهذه الدعوة، ولهذا الأصل والمذاكرة، واستغناء بعدم التفاته إلى المؤاخاة في الله والمؤازرة، بل كل الناس لديه إخوان، والضدان عنده يجتمعان، يصاحب أولياء الأوثان، كما يصاحب عابدي الرحمن، ويأنس بالمنقلب على عقبه، كما يأنس بالثابت على الإيمان، مع أنه قد شرح التوحيد، وادعى الإتيان بكل معنى موجز سديد.

يومًا بِحَزْوى ويومًا بالعقيق وبالـ ـعُذيب يومًا ويومًا بالخليصاءِ
وتارة تنتحي نجدًا وآونةً شعبَ الغوير وطورًا قصر تيماءِ[1]

فهو وإن ينتسب إلى الحق، فقد والى من خرج عنه وعق، فقلت له: إيه من رجل لو استقام، وصارم لولا ما عراه من الانثلام، لكني أعلم: أن للعلم بركات، وللملك لمات، فأرجو أن يقوده العلم إلى ثمراته، وأن يحول بينه وبين الشيطان وخطواته ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧﴾ [الحديد: ١٧]»[2]

ومع كون ابن منصور سلفيّ المعتقد، كما تبين من الفصل السابق، فإنه لم يسلم من التلمذة لبعض خصوم الدعوة السلفية، ومع أن هذا في ذاته ليس بمذمة، ولا غضاضة فيه؛ إذ «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها»[3]، ومعلوم أن بعض كبار مشايخ الدعوة تلمذوا لبعض علماء الأزهر إبان إجلائهم إلى مصر، مع كونه المركز الأول

---

(١) البيتان لأبي محمد الخازن كما في يتيمة الدهر للثعالبي (٣/ ٢٢٨).
(٢) الدرر السنية (١٢/ ٢٩٤ـ ٢٩٥).
(٣) لفظ حديث مرفوع رواه الترمذي (٢٦٨٧) وهو في ضعيف الجامع برقم (٤٣٠٢).

للمذهب الأشعري، المخالف للمذهب السلفي، وهذه شهادة ثمينة لعلماء الدعوة بسعة الأفق، والنهم للعلم النافع، والشغف به، والحرص على تحصيله ولو عند الخصوم، مع اطراح ما عندهم من البدع، إلا أن الأمر قد اختلف لدى ابن منصور عنه عند غيره من علماء الدعوة ممن درس على خصومها، وكانت مفارقته لهم في هذا الأمر من وجهين:

الأول أن ابن منصور تلقى عن الخصوم مبكراً في مبدأ نشأته[١]، قبل النضج العلمي، والتمكن من محض المنهج السلفي، والإحاطة بشبهات الخصوم ووجه تفنيدها، وذلك ما أدى إلى الاضطراب الذي انتُقد عليه في آرائه وعلاقاته[٢].

الثاني أن الخصوم الذين تلقى عنهم ابن منصور كانوا نشطاء في مناوأة الدعوة، لا يألون جهداً في الكيد لها، والتنفير منها، والتشغيب حولها، واستثارة الناس ضدها، وربما حملهم التعصب الأعمى على الافتراء على أئمتها بما يعلمون بطلانه، وعدم التورع عن شتمهم وتكفيرهم واستباحتهم واتهامهم بالخروج عن جماعة المسلمين، والسعي في سفك دمائهم وإبادة خضرائهم، إلى غير ذلك من ألوان الكيد والمكر، الذي لم يوجد عند غيرهم من المخالفين؛ وكان من أهم أسباب ذلك أن أكثر هؤلاء أصلهم من نجد، وكان ترأسهم فيها مشوباً بالبدع والضلالات، فلما زالت مناصبهم بالدعوة السلفية ظهر منهم من الحقد والعداء ما لم يظهر من غيرهم[٣]، فلا

---

(١) كما ذكر شيخه عبدالرحمن بن حسن في رسالة «المقامات» في الرد عليه، انظر الدرر السنية: ٩/ ٢١٧.

(٢) انظر ما قاله الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في رسالته له ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٩/ ٣٣٢.

(٣) من العجيب ـ وما أكثر العجائب في حياة ابن منصور ـ أن ابن منصور يقول =

عجب ألا يجد ابن منصور مجالاً لإحسان الظن به عند أئمة الدعوة، وأن لا يزال موضع الارتياب منهم، يزيده قرينةٌ بعد قرينة، حتى تُوج لديهم بما ضُبط بخطه بعد وفاته كما سيأتي.

وقد ذكر الشيخ عبدالرحمن بن حسن ـ وهو من شيوخ ابن منصور ـ في بعض ردوده على ما نسب إليه من كتب[1]، أن ابن منصور سافر إلى «الزبير» إثر انتشار الدعوة السلفية، حيث يوجد كثير من أهل نجد، ممن ضاق ذرعاً بالدعوة، منهم الشيخ محمد بن سلوم[2] الذي جلا من «سدير» بسبب ظهور الدعوة، وتمكن أتباعها، وأن ابن منصور تلمذ له، وأقام عنده مدة من السنين، ثم تردد إلى البصرة، واجتمع فيها بعثمان بن سند[3]، الذي كان

= في فتح الحميد: (وقد صنف شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب هذا الكتاب لما رأى من حوادث الشرك، وأنه قد عمت به البلوى، فدعا إلى الله بتوحيده، وحمل الناس على كتاب ربهم، وسنة نبيهم محمد ـ ﷺ ـ، **فنفر من ذلك الرؤساء؛ لما فيه من زوال مناصبهم، وترؤسهم بالباطل والقوانين الخارجة عن الشريعة المحمدية، والملة الإبراهيمية**، وشايعهم على ذلك الجهلة.. إلخ).

ص١٢٢ ويقول أيضًا: (قلتُ: وهذا من الشيخ ـ رحمه الله ـ سر لطيف، وبهذه الفراسة والسياسة نفع الله به العباد، وعمر به البلاد، ومن نصره وتبعه على ذلك رأس وساد). ص ٤٨٨.

(١) انظر الدرر السنية ٩/ ١٩٥، وهذا الجزء من الدرر مليء بالردود على ابن منصور، ربما ربعه، انظر ردود الشيخ عبدالرحمن بن حسن فيه ص ١٨٧ـ ٢٣١، وردود ابنه عبداللطيف ص ٣٣٢ـ ٣٤٨، وقد نشرت أكثر ردود الشيخ عبدالرحمن بن حسن في مجموع بعنوان «الدرر المنثور في الرد على عثمان بن منصور»، بعناية إسماعيل بن سعد ابن عتيق، نشر وتوزيع مكتبة الهداية بالرياض، عام ١٤١٢.

(٢) تقدمت ترجمته ص٥٣.

(٣) توفي سنة ١٢٤٢هـ، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ٤/ ٢٠٦، وانظر ما تقدم عنه ص ٥٧ .

من ألد خصوم الدعوة، فتلمذ له، وأنه لما عاد بعد ذلك إلى «الفرعة» ـ مسقط رأسه ـ أخرجه أهلها من الصف الأول في الصلاة؛ إنكاراً عليه، وأنه إنما استقر في «سدير» بعد اختلاف أهل نجد إثر الاجتياح المصري.

وفي مواضع أخر[١] ذكر أنه تأثر بثلاثة أشياخ: ابن سند البصري، وابن سلوم وابن جديد الزبيريين النجديين.

وفي موضع آخر ذكر عن ابن منصور فيما وُجد بخط يده أنه التقى في المدينة المنورة بعبدالله بن سليمان[٢] فاستشاره في القدوم على نجد، فقصده

---

(١) انظر الدرر السنية ٩/ ٢١٥، ٢١٧.

(٢) لعله عبدالله بن سليمان بن محمد بن عبيد الجلاجلي، ت ١٢٤١هـ، ولد في «جلاجل» من بلدان «سدير» ونشأ فيها، ثم رحل إلى الدرعية وتلمذ بها لتلاميذ الإمام محمد بن عبدالوهاب، وولاه الأمير سعود بن عبدالعزيز قضاء «حائل» وملحقاتها، ولبث على ذلك حتى خراب الدرعية سنة ١٢٣٣هـ، كما في «علماء نجد» للبسام ٤/ ١٦٦، وإذا كان الأمير سعود قد تولى من سنة ١٢١٨ إلى ١٢٢٩هـ، ولم يذكر ابن بشر له قاضيا على «حائل» سوى عبدالله بن سليمان هذا، فينبغي أن يكون توليه للقضاء منذ سنة ١٢٢٠هـ على الأقل، ولابد حينها أنه قد تجاوز الثلاثين من العمر على الأقل إن كان نابغا، وإلا فلابد أنه تجاوز أكثر من ذلك، حتى يكون أهلا لتولي منصب القضاء في إمارة بهذا الحجم، ولم يذكر في ترجمته عند ابن بسام أنه قرأ على الإمام، بل يفهم منها أنه قدم «الدرعية» بعد وفاته، فإن كان هو الذي ذكره الشيخ عبدالرحمن فإنه لا يُستبعد أنه كان في أول أمره غير متقبل للدعوة؛ إذ لم تزل آنذاك في أول أمرها، ولما يشتد عودها، ويظهر صوتها المبدد للشبهات التي كانت تثار حولها، وخصوصا في «سدير» التي كانت فيما يبدو مظنة للشائعات المريبة حول الدعوة وإمامها، من قبل خصومها من أهل «سدير» الذين أفرتهم الدعوة إلى الزبير، كابن جديد وابن سلوم، ولعل هذا الذي قلناه في شأن عبدالله بن سليمان يتأيد إذا كان محمد بن عبيد المترجم في علماء نجد لابن بسام (٦/ ٢٧٤) جدا له، إذ إنه قتل على يد الأمير عبدالعزيز بن محمد سنة ١١٨٠هـ لمناوأته للدعوة، بيد أن اسمه في عنوان المجد بطبعتيه: محمد بن =

هذا، فتوجه إلى الزبير، ثم ذكر الشيخ عبدالرحمن أن ابن سليمان هذا قدم نجداً، وقرأ على الإمام في «الاقتضاء»، ثم صار كاتباً لأبنائه(١).

والحق أن من المستبعد أن يكون ابن منصور درس على ابن سند وتأثر به، وهو الذي ردّ عليه ذلك الرد الموجع: «الرد الدامغ على الزاعم أن شيخ الإسلام ابن تيمية زائغ»(٢)، لما سمعه ينال من شيخ الإسلام ابن تيمية، ويسب أهل نجد وإمامهم المجدد، وهي منظومة طويلة بلغت ١١٥ بيتاً، قدم لها بمقدمة ذكر فيها ما جرى له مع ابن سند، وأنه بعث بها إليه، وهدده إن لم ينته عن سب شيخ الإسلام أن يبعث بها نسخاً متعددة إلى بغداد، فجرت المصالحة على أن يكف ابن سند عن ذلك، ويظهر الثناء على ابن تيمية، ولكنه لم يلبث أن عاد، فأظهر ابن منصور ردّه عليه، والذي يعنينا هنا منه دفاعه عن الإمام محمد بن عبدالوهاب، حيث يقول:

وقولكمُ في معرض الذم: شيخُكم ... يُضلّ الورى جهلاً وفيكم تنطعُ
أبِنْ لي ضلال الشيخ حتى أجيبكم ... أفي هدمه الأوثان؟ فالحقَّ يَتبعُ

= عيد، فالله أعلم بالصواب، ومهما يكن من أمر فلا يبعد ما ذُكر عن ابن منصور أنه صُد عن الدعوة أول الأمر بمشورة عبدالله بن سليمان هذا، وأن هذا كان في وقت مبكر، ربما أول القرن الثالث عشر، قبل انشراح صدر عبدالله بن سليمان للدعوة، وعليه فلا يستغرب إحجام ابن منصور عن إظهار مناوأته للدعوة ـ إن كانت ثابتة عليه ـ؛ إذ رأى من صده عنها أولا قد رجع، وربما يكون بعض ما ضبط بخطه بعد وفاته من الأوراق والوثائق المعادية للدعوة ـ والتي لم يعلنها البتة ولم يسع لنشرها ـ بمثابة مذكرات شخصية كتبها في تلك الفترة المبكرة من حياته، خصوصا وأنها في مستواها العلمي لا ترتقي إلى النضج الذي أبداه في «فتح الحميد» ولعله يشفع له أنه لم يبرزها ويدع إليها حتى في أحلك الظروف بالنسبة للدعوة.

(١) انظر الدرر السنية ٩/ ١٨٧.

(٢) نشر مقاطع منها الدكتور العثيمين في تحقيقه للسحب الوابلة ٢/ ٧٠٨.

أبِنْ لي أبِنْ لي لا أباً لك وانتبه   أفي سَدِّه طرْق الضلالات مشنعُ
أبِنْ لي أبِنْ لي ما الضلالات عندكم   أكفّ دعاة السوء فينا فنسمعُ
كففناهم عن ديننا ودمائنا   وأنت لِسعدٍ آخر الليل تضبعُ
دعوت سعيد السوء في دار «فيلك»   وسعد على أنصابه التيس تصدعُ
فلما أراك الله نوراً عن العمى   بنور دعاة الخير هَوْلجت تقرعُ
تُبدّع أهل الخير تُخرج دينهم   إلى دين من هو للصحابة يُبدعُ[(١)]
أمَنْ تُنصب الأوثان في دار ملكه   وتعبد جهراً بالنحاير يدرعُ
كمثل صحاب يبذل المرء نفسه   لهدم قباب الشرك هل أنت تترعُ
ولسنا بحمد الله نُكْفر مسلماً   ولا نرْتضي التكفير بالجهل نُسرعُ

ومضمون هذا النظم متفق تماماً مع ما في «فتح الحميد»، ولعله حين نظمه كان قد شرع في تأليفه، ويبدو أنه نظَمه في آخر فترة وجوده في العراق؛ فإنه أطال اللبث عند ابن سلوم في الزبير قبل أن يذهب إلى البصرة فيجتمع بابن سند، وموقفه هذا من ابن سند يدل على أن اجتماعه به كان اجتماع مدارسة أكثر منه تلمذةً، ولا أدري إن كان علماء الدعوة قد اطلعوا على هذه القصيدة، فإنهم لم يشيروا إليها كما أشاروا إلى فتح الحميد، وهي إن كانت تدفع عن ابن منصور تهمة إبطان مناوأة الدعوة أول الأمر؛ إذ لا يتصور فيها مطمع دنيوي لابن منصور كما في «فتح الحميد»، فإنها ترجح انقلابه على الدعوة في حال ثبوت «كشف الغمة» ومدح ابن جرجيس.

---

(١) يعني أنك تصف أتباع الإمام محمد بن عبدالوهاب بأنهم على دين الخوارج الذين بدّعوا الصحابة.

أما عدو الدعوة اللدود داود بن جرجيس[1] فهو أقرب إلى كونه قرنا

(١) هو داود بن سليمان بن جرجيس البغدادي، النقشبندي، الخالدي، الشافعي، ولد في بغداد عام ١٢٢٢هـ على ما في هدية العارفين (١/ ٣٦٣) أو ١٢٣١هـ على ما في الأعلام (٢/ ٣٣٢) ومعجم المؤلفين (٤/ ١٣٦) وهلك بها عام ١٢٩٩هـ، وهو أحد خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى، طعن في رسائل أئمة الدعوة، فزعم أنها تخالف ما قرره السلف، وتخالف ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمه الله، وتصدر الدعوة إلى دعاء الأموات من الصالحين والأولياء، وندائهم بالحوائج، والاستغاثة بهم في الملمات والشدائد، وأن ذلك مستحب وارد، وأن من كفر من يعبد الصالحين فهو مخطىء ضال، وأنه لا يكفر ولايشرك إلا من دعاهم استقلالاً، وزعم أنهم الفاعلون المدبرون.

وله كتب حشاها بما تقدم، منها «صلح الإخوان من أهل الإيمان» ضمنها نقولاً محرفة عن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم عن عمد ليجيز بها الاستغاثة بالموتى ودعاءهم من دون الله، وكتاب «المنحة الوهبية في رد الوهابية» وغير ذلك.

وقد تصدى له أئمة الدعوة، فألفوا الردود المطولة والمختصرة في نقض شبهه وتضليله، وبيان كذبه وافترائه وتزويره، فانجلى للناس بهذه الردود حقيقة أمره، وزيف ما يدعو إليه فلله الحمد والمنة.

فممن رد عليه الشيخ عبدالله أبابطين بكتابه «الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين»، وبكتاب آخر أسماه «تأسيس التقديس»، ورد عليه العلامة عبدالرحمن بن حسن بكتب منها «القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس»، ورد عليه ابنه العلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بكتب منها «منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس»، وكتاب «تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس»، ورد عليه الشيخ الفاضل محمود شكري الألوسي بكتاب سماه «فتح المنان» ورد عليه علامة العراق السيد نعمان الألوسي بكتاب سماه «شقائق النعمان في رد شقاشق داود بن سليمان».

انظر: الدرر السنية (١٢/ ٣٣١)، تأسيس التقديس، للبابطين، تحفة الطالب والجليس، لعبداللطيف بن عبدالرحمن، دعاوى المناوئين، لعبدالعزيز العبداللطيف =

لابن منصور ـ وربما بمنزلة التلميذ ـ من أن يكون شيخاً له، فابن منصور أسن منه بعشرين عاماً على الأقل![1].

ومهما يكن فقد دخل بسببه شر عظيم على ابن منصور، إذ كان ابن جرجيس نشطاً في مناوأة الدعوة، حريصاً على فض الناس عنها، حتى أنه قدم لأجل ذلك إلى القصيم وحائل[2]، واجتمع به الشيخ عبدالله أبو بطين[3]، وناظره في مسمى العبادة وغيرها، فظهر فساد معتقده[4]، وأنه ألف كتباً يدافع فيها عن عبادة القبور، والاستغاثة بالأموات، ويشغب بها على الدعوة السلفية، فرد عليه علماء الدعوة، وحذروا المسلمين من ضلالاته، وبالغوا في رد كيده، والحد من تأثيره، حتى أنهم استكتبوا أسماء من استضافه ورحب به ليُحذّر منهم[5].

والذي يعنينا هنا أن ابن منصور ـ بمقتضى ما وُجد بعد وفاته ضمن كتبه ـ عُدّ من المرحبين بقدوم ابن جرجيس، ليس ذلك فحسب، بل من المؤيدين لآرائه، المزكين لكتبه، كما تشهد بذلك قصيدة رائية لم توجد إلا

= (ص ٥٣ـ ٥٤)، المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر، لمحمود شكري الآلوسي الذيل ص٤٥٩، وقد ذكر محققه الدكتور عبدالله الجبوري مواطن ترجمة ابن جرجيس، الأعلام للزركلي (٢/ ٣٣٢).

(١) فلا يصح ما في «علماء نجد» (٥/ ٩٠) من أن ابن جرجيس من أشهر مشايخه الذين قرأ عليهم في العراق!.

(٢) تولى ابن منصور قضاء حائل سنة ١٢٦٥، ولبث فيها أربع سنين، فربما يكون قدوم ابن جرجيس أثناء هذه الفترة.

(٣) العلامة عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز أبابطين العائذي (١١٩٤ـ ١٢٨٢هـ)، من كبار علماء الدعوة، ترجمته في الدرر السنية ١٢/ ٧٥ـ ٧٧.

(٤) انظر الدرر السنية ٩/ ٢٨٨، ٢٨٩.

(٥) انظر الدرر السنية ٩/ ٣٢٩.

في كتبه[1]، رماه العلماء إثر العثور عليها ـ بعد وفاته! ـ عن قوس واحدة، وردوا عليه بقصائد عدة من بحرها وقافيتها، وقصيدة ابن منصور هي هذه:

خليلي هلاّ تُنظراني لحاجة ... أقيما فواقا من نهار كما البدر
عسى تقتضي الحاجات مني رسالة ... إلى الجسر من بغداد بالود واليسر
لرد رسوم يستضاء بضوئها ... تضوح عبيراً من أصداغها الشقر
بها بينات واضحات من الهدى ... تحطم منهاج الخوارج الصغر
وتفصح عن غوب[2] الطغام بمازق ... من الجيش فرسان الدلائل كالبحر
أتينا بها نحت الحديد بمبرد ... على جاهل يهذي بقول ولا يدري
يؤول آيات الكتاب على الذي ... ينادون بالإخلاص والعمل البر
تشعشع أنواراً من الوحي رائقاً ... مطرزة بالوشى سابغة الأُزْر
ومنبعها بيت النبوة يا لها ... صواعق رعد تقذف بالصخر
تأملتها سبرا لها فوجدتها ... جواهر وحي صافية الدر
تبارك ربي ما أجل متونها ... وأرصفها رصفاً بقاصمة الظهر
تدمدم جرف الزيغ من بعد ما علا ... وتدحض جور الخارجي والجبر
فضيفتها مني قريضاً مزوقاً ... على أنها الحسناء واضحة الثغر
عليها من الوحي المبين دلائل ... يقصر عنها كل مبتدع غمر
يضل ضلال العادلين عن الهدى ... فغم بها غم المعذب في القبر

(١) كما يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن، انظر الدرر السنية ٩/ ١٩٦.

(٢) كذا، ولم يتبين لي معناها. ولعلها: غيب.

فمني سلام رائق ما سرى الصبا   وما هبت النكباء أو غنت القُمري
وما هطلت وبل السحاب وما زها   من النبت زهـر القحوياني بالقطر
وما ضحكت زهر الرياض بنورها   وما هزت الحسناء عطفاً لها تجري
وما نفحت عود الخزامي بأجرع   من الطل مغمور الأجارع والخمر
على سيد السادات روحي ومهجتي   مثيـر غـرام الـود قابـل العـذر
سمـي نبـي الله داود ليتنـي   تمليت منه الأنس في ساعة العمر
إلى جده جرجيس بالأصل ينتمي   لبنـت رسـول الله عاليـة الخـدر
من الخل عثمان التميمي قريضها   على نقض زيغ من طغام أصدى وكر[1]
سرت من ربى نجد تجر ثيابها   مغطـرفـة الأرداف كـالنقـا المثـر
بـأزكـى صـلاة للنبـي مضـاعـف   مع الآل والأصحاب ذي العز والفخر
فـدم واستقـم مـا عشـت قـامعـاً   لشيعـة جنـد النهـروان ذوي الغـدر

هكذا هي في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»[2]، ولعل كثيراً من الخلل الحاصل فيها مرده إلى التصحيف والتطبيع، وهي من أقوى ما أدين به ابن منصور بعد كتاب «كشف الغمة» الذي مضى الحديث عنه.

والعجيب أن هذه القصيدة لم تظهر إلا بعد وفاة ابن منصور سنة ١٢٨٢هـ، عثر عليها حين عرضت كتبه للبيع مكتوبة بخط يده[3]، ولم أر

(١) كذا.
(٢) ٩/ ٣٤٨، ٣٤٩، وفي «علماء نجد» لابن بسام (٥/ ٩٣) أنها ستة وثلاثون بيتا، فلعله وهم.
(٣) انظر الدرر السنية ٩/ ٢١٠، ٣٣٥.

من شكك في نسبتها إليه، بل إن جلة من العلماء انبروا للرد عليها كما تقدم، منهم عبدالرحمن بن حسن، وابنه عبداللطيف[١]، وابن مشرف الأحسائي[٢]، وحمد بن عتيق، وغيرهم[٣]، ومع أن هذا له أثره في توثيق نسبتها إلى ابن منصور، فإنه يثير تساؤلاً من جهة أخرى عن الجدوى من نبش قصيدة مغمورة ركيكة المبنى والمعنى ـ كما يقول من رد عليها ـ، لم يعلم بها إلا بعد وفاة صاحبها[٤]، وتتابع وجوه العلماء على مناقضتها، مع أن المعلوم من منهج السلف إماتة البدع وغمر أصحابها بالإعراض عنهم وتحقير شأنهم وتجاهلهم وعدم إعانتهم في نشر بدعهم بالمبادرة إلى الرد إليها، ما لم يُلجأوا إلى الرد ويضطروا إليه اضطراراً بتفشي البدعة واستطارتها في الآفاق، فهل كان لابن منصور ذلك التأثير والقبول الداعي إلى كل هذا الاهتمام، وما الذي كان سيحدث لو أن الأوراق التي حوت نظمه هذا أتلفت أو حفظت وكفي الناس هم معرفة محتواها ووجه بطلانه؟!، أم أن إدانة ابن منصور في ذاتها كانت مطلباً؟.

وقد نجد جواباً على هذا التساؤل في قول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في رده على «كشف الغمة»: (وقد كنا في غنية عن رد أكاذيبه؛

---

(١) قصيدته في الدرر السنية ٩/ ٣٤٩ـ ٣٥١.

(٢) قصيدته في ديوانه ص ٢٩، ٣٠.

(٣) انظر علماء نجد ٥/ ٩٣ـ ٩٥. والظاهر أن الشيخ عبدالرحمن بن حسن كان يندب من يراه أهلا لمعارضة ابن منصور، كما يفهم من ديوان ابن مشرف ص ٣١، حيث وردت قصيدته التي عارض بها قصيدة ابن منصور، ثم ذكر أن الشيخ استزاده فأجاب بقصيدة أخرى.

(٤) إذ لو كانت معلومة منتشرة أو حتى متداولة بين خواص ابن منصور فإنها لم تكن لتخفى على من يضبط عليه فلتات لسانه وما يبوح به لبعض خواصه. انظر الدرر السنية ٩/ ٢٠٠، ٢٠٢، ٣٣٤.

لسقوطها وظهور هجنتها، لولا ما قيل: «لكل ساقطة لاقطة»، وخوفاً أن تصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة)[1].

ومهما يكن من أمر، فإن ثبوت هذه القصيدة لابن منصور لا يدينه بمعاداة الدعوة السلفية وممالأة القبوريين فحسب، بل إنها تضعف من احتمال رجوعه عن مناوأة الدعوة؛ فإن ممدوحه فيها عاش ما بين عامي (١٢٢٢ـ ١٢٩٩هـ) على ما في «هدية العارفين»، أو ما بين عامي (١٢٣١ـ ١٢٩٩هـ) على ما في «الأعلام»، وهذا يعني أنه لابد أن يكون قدومه نجدا، ومدح ابن منصور له بعد عام ١٢٥٠ على الأقل؛ إذ لا يُقبل أن يحدث قدومه هذه الضجة وهذا القلق والاهتمام وهو في سن أقل من هذا، خصوصاً مع ما أبداه في كتاباته وشبهه من ضعف علمي وبعد عن منهج الراسخين في العلم، فإذا كان تأليف ابن منصور لكتابه «فتح الحميد» الذي هو قمة ما يمثل ولاءه للدعوة، وبراءته من خصومها، ومضمونه مضاد تماماً لما يدعو إليه ابن جرجيس ومن قبله ابن سلوم وابن سند وابن جديد وغيرهم من المناوئين، إذا كان تأليفه لهذا الكتاب في إخراجه الأول قد تم الفراغ منه في شعبان سنة ١٢٥١هـ، كما في اللوحة ٣٠٦/ أ، [م]، ومعلوم أن شرحاً بهذه الضخامة يستغرق من صاحبه سنوات عدة ولابد، فالحكم عليه في ضوء هذه المقدمات بالتحول عن ممالأة الدعوة إلى معاداتها أقرب من القول برجوعه، خصوصاً إذا علمنا أن المجلد الأول من الإخراج الثالث للكتاب كان الفراغ من تبييضه في ذي القعدة من عام ١٢٥٧هـ[2]، فإن كان ثمة تحول فلابد أن يكون بعد هذه الفترة بزمن، ويكون قدوم ابن جرجيس وترحيب ابن منصور له في أواخر حياة ابن منصور، ربما سنة ١٢٧٩هـ أو

---

(١) «مصباح الظلام» ص ٨٤.

(٢) كما في اللوحة ٢٠٨/ أ، وهي آخر المجلد الأول.

قريباً منها[1]، وهذا أقرب إلى تبرير اهتمام العلماء البالغ بالرد على ابن منصور بعد وفاته؛ إذ قضيته لم تزل قضية حية، وقد بلغ من البلاغة والعلم مبلغاً يُخشى معه تأثر الناس به، وربما اعتبره بعض الجهال من العامة ضحية للحسد والتنافس بين العلماء، وقد تقدمت الإشارة في الفصل الأول إلى أنه كان قاضياً على جميع ناحية «سدير» في ولاية الإمام فيصل بن تركي، ثم ولاه الإمام قضاء حائل سنة ١٢٦٥هـ، واستقبله أهل «قفار» استقبالاً تاما، واحتفوا به لعلاقة النسب بينه وبينهم، ولبث في قضائها نحو أربع سنين[2]، والجدير بالذكر أن الإمام ولاه قضاء «سدير» بطلب من أهلها[3]، وهذا كله يوحي أن له قبولاً وارتياحاً عند كثير من الناس، يسهل تأثرهم به ورواج آرائه فيهم دون شك.

على أن الشيخين الجليلين عبدالرحمن بن حسن، وابنه عبداللطيف وغيرهما من أهل العلم، لا يرون في أحوال ابن منصور تحولاً ولا تغيراً، فهو في مبتدأ أمره ومنتهاه مناوىء للدعوة[4]، وإنما كان صاحب تقية، يظهر الموالاة والتملق وهو يبطن العداوة[5]؛ ولا يبوح بمذهبه على الحقيقة

---

(١) حيث يكون ابن منصور أيضًا ـ وعلى هذه الفرضية ـ قد يئس من رضا علماء الدعوة عنه، وقبولهم لما يظهره من مصافاة الدعوة والنصح لها، وتركهم لمتابعته والتحري حول ما يبثه في مجالسه الخاصة.

(٢) كما نقل البسام في «علماء نجد» ٥/ ٩٦ عن ابن ضويان، وأظن فيه اضطرابا: فقد ذكر في ٥/ ٩٥ أن ابن منصور تولى قضاء «حائل» ثم قضاء «سدير»، وفي ٥/ ٩٦ أنه كان ارتحل إلى «سدير» عام ١٢٥٥هـ، ولم يتولَّ قضاء حائل إلا سنة ١٢٦٥هـ، ولبث فيها أربع سنين، ثم عُزل فرجع إلى سدير ساكنا لا قاضيا إلى وفاته.

(٣) انظر الدرر السنية ٩/ ٢٠٠.

(٤) انظر «مصباح الظلام» ص ٨٥.

(٥) انظر «مصباح الظلام» ص ١٨، ٤٤.

إلا لإخوانه وشيعته من أعداء الدعوة[1]، طمعاً في المنصب والمال[2]، أو مداراة لصولة سيف السنة، أو غير ذلك، وما كان ظهور هذه القصيدة، وكذا كتاب «كشف الغمة» بعد وفاته سوى تصديقاً لما ظنوه به من قبل.

ويعلل الشيخ عبداللطيف انقلابه على الإمام محمد بن عبدالوهاب بعد أن شرح كتابه وأطراه فيه بأنه إنما فعل ذلك طلباً للدنيا، فلما فاته ذلك عند أتباع الشيخ ولوّح له به بعض أعداء التوحيد رجع القهقرى[3].

وهكذا فإن دفاع ابن منصور عن نفسه، واجتهاده في تبرئه ساحته إذا ما حقق الأمر معه لا يجدي شيئاً، ويحمل على المراوغة والتهرب.

وخلاصة القول في تفسير علاقة ابن منصور بخصوم الدعوة أنها لا تعدو إحدى حالين، إما أنها علاقة تلمذة ومودة، يتراوح تأثيرها ما بين الحد من نشاط ابن منصور في نشر مبادىء الدعوة، وإطفاء حماسته في تحقيق أهدافها، والحيلولة دون مجاراته أقرانه من علماء الدعوة في محاربة المنكرات العقدية، وعدم التسامح أو التساهل مع أي منها، وبين الاضطراب والتباس الأمر بسبب ما يسوقون من شبه، خصوصاً في قضية التكفير الشائكة، لا يتجاوز ذلك إلى حد الاقتناع ببدعهم وضلالاتهم وتزكية مذاهبهم[4]، وهذا ـ كما ترى ـ لا يستقيم إلا على فرض صدق ابن

---

(١) انظر السابق ص ٣١٧.

(٢) انظر السابق ص ٣٩، ٣١٩.

(٣) انظر السابق ص ٣١٩.

(٤) يقول ابن مشرف في إحدى قصيدتيه اللتين رد بهما على ابن منصور كما في ديوانه ص ٣٠:

فيا ليت شعري هل تجاهل أو غوى ... فشتان ما بين الهداية والكفر
ولكنه أبدى موافقة العدا ... **ليثني عليه الخصم في ذلك القطر**

منصور في دفاعه عن نفسه، وأن جميع ما نسب إليه لا يثبت، وإنما هو وشاية من حاسديه لدى ولاة الأمر من الأمراء والعلماء.

والحال الثانية: أنه في حقيقة أمره خصم لدود للدعوة، أراد أن يجمع بين بث مذهبه، وبين البقاء في موطنه واستمالة الناس إليه، فسلك مسلك التقية، وهذا ما يراه علماء الدعوة، وهو الذي ترجحه الدراسة الفاحصة لمؤلفاته كما سبق.

ولا ثالث فيما يبدو لهذين الحالين، إلا أن يكون تاب قبيل موته وهذا ليس مما نحن فيه، أما أن يكون مناوئاً في أول أمره ثم صلح حاله فهو بعيد كما سبق(١).

وقد ذكر الشيخ البسام(٢) أن الشيخ محمد بن صالح بن سليم، رئيس محكمة التمييز بالمنطقة الغربية حدثه، أن الشيخ محمد بن عبداللطيف قال: حدثني والدي عبداللطيف عن والده الشيخ عبدالرحمن بن حسن أن عثمان بن منصور قبل وفاته ندم على ما فات منه، وأنه تاب، وتوفي على عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، التي هي عقيدة التوحيد. ا. هـ ثم جوّد السند.

وهذه الرواية يشكل عليها الوجوه التالية:

١ ـ أن الشيخ عبدالرحمن بن حسن قد صرح بعدم علمه بمآل ابن منصور في آخر حياته، فقال: (.. وهذا يبين حال هذا الرجل: أنه لم يعرف

---

(١) من الإنصاف أن يقال إن تحقيق هذه القضية على الأصول العلمية يتطلب الوقوف على مكاتبات ابن منصور للمشايخ، ودفاعه عن نفسه، أو الوقوف على رأي تلاميذه على الأقل، الذين لم يزالوا يثنون عليه حتى بعد وفاته، وذلك ما لا يتيسر في مثل هذه الدراسة.

(٢) في «علماء نجد» (٥/ ٩٨).

«لا إله إلا الله»، ولو عرف معنى «لا إله إلا الله» لعرف أن من شك أو تردد في كفر من أشرك مع الله غيره أنه لم يكفر بالطاغوت، وقد تقدم له من نصرة الشرك وتأييده من نصره ما يدل على أنه لم يتبين له معنى كلمة الإخلاص، وما دلت عليه من التوحيد، وما نفته من الشرك، وهذا ظاهر من قوله، لا يخفى على من له بصيرة في دينه، فظهر من حاله فيما وضعه وكتبه أنه يؤيد الشرك، ويوالي أهله، وينكر التوحيد، ويعادي أهله، **وهذا ما وجدناه في كتبه بخطوطه، والله أعلم بما آل إليه أمره في آخر حياته: هل راجع أم لا؟)**[1].

وقال في موضع آخر يذكر فيه مدح ابن منصور لابن جرجيس: (فأطنب بالثناء عليه بردّه على المسلمين بما كذب فيه وشبّه، وما حل وعاند، فصار هذا عند عثمان هو الحق الذي يُمدح صاحبه ويُمجّد، وشعره هذا لم نجده إلا في كتبه، وقد قدِم على ما قدِم، **فهذا ما ظهر منه في حياته، وأما الخاتمة فعلمها عند الله، نسأل ا الثبات والاستقامة)**[2].

٢ ـ أن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن لو كان على علمٍ بهذا لصدّر به ردّه عليه: «مصباح الظلام»، ولأخذ الرد طابع النصيحة والتحذير من الكتاب دون التعرض لمؤلفه التائب؛ فالتائب من الذنْب كمن لا ذنب له، ومعلوم أنه لم يكتب ردّه الأليم على ابن منصور، الذي وصفه فيه بالوقاحة ص٩٢، والكذب ص٢٣، والبهتان ص٣٩، والغباوة ص٨٨، والجهل ص٩٩، وأنه نهم في المزاحمة على ما بأيدي رؤساء الدعوة ص٣٩، وأنه ثور المدار ص١٩٥، والثور الأعجم ص١٥٠، وأن الثيران أهدى منه

---

(١) «الدرر السنية»: ٩/ ١٩١.

(٢) المرجع السابق: ٩/١٦٩.

ص١٦٦، وأنه كعنز السوء: يبحث عن حتفه بظلفه ص٢٣٧، وأنه عدو لإمام الدعوة في أول أمره وآخره ص٨٥، لم يكتب هذا إلا بعد عثوره على كتاب «كشف الغمة» بعد وفاة ابن منصور؟!، فهل يُتصور أن الشيخ عبداللطيف يسلك هذا الأسلوب في الرد على من يعلم توبته قبل موته؟!.

٣ ـ أن الشيخ عبداللطيف لا يحتاج أن يروي مثل هذه اطلاقاً عن والده؛ إذ هو معاصر لابن منصور، بل ربما كان أعلم بحاله، وأكثر اهتماماً بقضيته من والده، ولا يبعد أن يكون قد تنبه قبله لحقيقة موقف ابن منصور، ومعلوم من تقريض والده لفتح الحميد أنه لم تنكشف له حقيقة حال ابن منصور إلا بعد عام ١٢٥٢هـ، حيث يكون عمر عبداللطيف إذ ذاك قد بلغ الثلاثين أو جاوزها، فما حاجته للرواية عن والده في توبة رجل بعد هذا التاريخ بنحو ثلاثين عاماً، أفكان ابن منصور يُسِرّ بهذه التوبة إلى الشيخ عبدالرحمن دون غيره!.

٤ ـ أن خلاف ابن منصور مع أتباع الدعوة لم يكن في التوحيد، حتى يقال إنه رجع إليه!، وإنما كان في قضية تكفير خصوم الدعوة، وقتال من صد عنها، واستباحة دمائهم وأموالهم، ورأيه في هذا ـ كما في «مصباح الظلام»[1] ـ أن المستغيثين بأصحاب القبور لا يخرجون من الإسلام إلا إذا اعتقدوا النفع والضر فيهم، وأقروا أن فعلهم هذا مضاد للشهادتين، ثم أصروا بعد ذلك، فعندها يقاتلون، أما القتال على ما هو دون ذلك من الكفر العملي فهو عنده منهج الخوارج، هذا هو ما خالف فيه الإمام وأتباعه وسائر أهل السنة المحضة، ومع انحرافه البين فيه عن جادّة الصواب ومحض السنّة، فإنه لا ينحط إلى مستوى الردّة عن جملة عقيدة

---

(١) ص ٣٩٥.

التوحيد، حتى يقال إنه رجع إليها.

٥ ـ أنه لو صح رجوع ابن منصور وتوبته، فهلا أتلف ما بحوزته من كتب مضادّة، وهلا أعلن براءته منها، ومعلوم أن شيئاً من هذا لم يحدث.

لهذه الوجوه لا يُستبعد أن تكون هذه الرواية في شأن رجوعه قديمة: إبّان تقريظ الشيخ عبدالرحمن لفتح الحميد، وأن الشيخ عبدالرحمن أخبر ابنه عبداللطيف برجوع ابن منصور إثر تأليفه لفتح الحميد؛ إذ كان قبل ذلك مصنَّفا في المناوئين لتلمذته لابن سلوم، وعلى هذا يكون ربْط رجوعه بآخر حياته وهماً.

الفصل السادس
التعريف بالكتاب

توثيق نسبة الكتاب:

لا شك أن للشيخ عثمان بن عبدالعزيز بن منصور شرحاً على كتاب التوحيد؛ يدل على ذلك ما يلي:

١ـ إشارة الشيخ عبدالرحمن بن حسن إلى شرح ابن منصور لكتاب التوحيد في إحدى رسائله إليه[١].

٢ـ نسبة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن هذا الشرح إليه في عدة مواضع ناقداً موضعاً منه في أحدها[٢].

٣ـ إشارة ابن منصور إلى شرحه هذا في كتابه «منهج المعارج إلى أخبار الخوارج»، عدة مرات، منها قوله عند ذكر ضرب عمرَ بنِ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ صبيغا بنَ عِسلٍ التميمي: (.. كما ذكرنا قصته في **شرح التوحيد** مستقصاة)[٣].

ومنها قوله عند ذكره لأحاديث الرجاء والشفاعة لأمة محمد ـ ﷺ ـ: (وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في «فتح الحميد» لمن أراده)[٤].

---

(١) انظر الدرر السنية ٩/ ٢٣٠.

(٢) انظر الدرر السنية ٩/ ٣٣٢، ٣٣٣، والموضع المنتقد في ص ١٦٦ من «فتح الحميد». وانظر أيضا «مصباح الظلام» ص ٣١٩، حيث أشار إلى هذا الشرح.

(٣) «منهج المعارج»: ص (٦/ أ)، مخطوط، وانظر استقصاءه لقصة صبيغ في «فتح الحميد»: ص ١١٥.

(٤) «منهج المعارج»: (٨/ أ).

وقوله بعد هذا الموضع بقليل: (ومن أراد البسط في هذه المعاني عن العلماء ـ رحمهم الله ـ . . بكتابنا «فتح الحميد في شرح التوحيد» يجده موضحاً)[١]، يعني تقرير أن الكفر العملي لا يخرج من الملة، كالكبائر[٢].

وهكذا في مواطن أخرى من هذا الكتاب[٣].

٤ـ ذكر شرح ابن منصور لكتاب التوحيد: الشيخ إبراهيم بن عيسى[٤]، حيث يقول: (وقفت على شرح التوحيد لعثمان بن منصور في المجمعة عند الأخ عثمان بن أحمد في مجلد كبير، سمّاه: «فتح الحميد»)[٥].

أما كون المخطوط الذي بين أيدينا هو قطعاً «فتح الحميد» فيدل عليه ما يلي:

١ـ إجماع النسخ الثلاث للكتاب على نسبته إليه، في أول المخطوط وآخره، كما يظهر من النماذج المرفقة.

٢ـ أن إحدى هذه النسخ بخط ابن منصور المعروف، والثانية بعضها بخطه وبعضها بخط تلميذه ابن عمير، والثالثة بخط تلميذه ابن نصر الله.

٣ـ أن على بعض أوراق هذه النسخ تعليقات مختومة بعبارة: «قاله مؤلفه عثمان بن منصور ـ عفا الله عنه ـ».

٤ـ أن مؤلّفه ذكر في أوّله وأثنائه بعض شيوخه، كمحمد بن سلوم،

---

(١) «منهج المعارج»: (٨/ ب)، ومكان النقط كلمة مطموسة بمعنى: «فليراجع».

(٢) انظر «فتح الحميد»: ص ١١٥٩، ١٣٢١ وما بعدها.

(٣) انظر «منهج المعارج»: (١٩/ أ)، (٢١/ ب).

(٤) هو إبراهيم بن صالح بن إبراهيم بن عيسى، (١٢٧٠ـ ١٣٤٣هـ)، صاحب ذيل تاريخ ابن بشر المسمى «عقد الدرر».

(٥) نقلا عن «علماء نجد» للبسام ٥/ ٩٢.

وعبدالعزيز الحصين، وهم شيوخ معروفون لابن منصور.

عنوان الكتاب

«فتح الحميد في شرح التوحيد» هو العنوان الذي نص عليه المؤلف في أول الكتاب بقوله: (.. وقد سمّيته: «فتح الحميد في شرح التوحيد»)[1].

وهكذا أُثبت عنوان الكتاب في جميع نسخه الخطية دون اختلاف، وهكذا هو عند من ذكر اسمه ممن أشار إليه ممن تقدم ذكرهم.

تاريخ التأليف

اشتغل ابن منصور بتأليف هذا الشرح قبل الخامس من شعبان، سنة ١٢٥١هـ[2]، ولعله استغرق زمناً غير قصير في ذلك؛ إذ هو شرح مطوّل، وقد قدّرنا ولادته في أول القرن الثالث عشر كما سبق، فيكون قد ألّفه في العقد الخامس من عمره تقريباً، أي ما بين ١٢٤٠ـ ١٢٥٠هـ، ولا يبعد أن يكون ألف مسوّدته قبل ذلك، أو أنه على الأقل بدأ بجمع مادته العلمية؛ فإنه يرجع فيه إلى مصنفات ربما يُستبعد وجودها في «نجد» آنذاك، وقد يتأيد هذا بأن عامة الإلحاقات والإضافات الطارئة على الكتاب في مبيّضته مقتصرة على الأحاديث والآثار، دون النقول عن المصنفات الأخرى، التي كثر النقل عنها في المسودة، ولا يشكل على هذا كونه آنذاك في أحضان خصوم الدعوة؛ فها هو قد أنشأ «الرد الدامغ» في تلك الفترة، وهو لا يقل عن «فتح الحميد» في الدفاع عن الإمام المجدد ودعوته، كما إن منهجية ابن منصور المتسعة لتنقيح وتبييض كتابي «منهج المعارج» و«فتح الحميد» في

---

(١) ص ٣٧.

(٢) انظر ص ٢١٣٠.

فترة واحدة تقريباً، مع ما بينهما من التناقض، لا يبعد عليها ابتداء تصنيف «فتح الحميد» في أكناف خصوم الدعوة.

سبب التأليف

ذكر الشيخ عبدالله البسام أنه بلغه أن ابن منصور ألف هذا الشرح بإشارة من الأمير فيصل بن تركي[1]، وبذلك جزم الدكتور عبدالرحمن العثيمين![2]، وهذا يستبعد لثلاثة أمور:

الأول ـ أن فيصلاً إنما تولى سنة ١٢٥٠هـ، بعد قضائه على مشاري بن عبدالرحمن، قاتل أبيه تركي بن عبدالله[3]، ولا يتصور أن يؤلف ابن منصور شرحاً بهذه السعة في هذه المدة، كما يستبعد أن يكون فيصل قد كلفه بذلك في حياة أبيه.

الثاني ـ أنّ الأمير فيصلاً لو كان فاعلاً ما كان ليؤثر أحداً على العلامة عبدالرحمن بن حسن، أو ابنه الشيخ عبداللطيف؛ فهما أعلم وأقدر وأولى، والمتن لجدهما، والشيخ عبدالرحمن تلميذ له، أو على الأقل ما كان ليكلف غيرهما دون استشارتهما، ومعلوم ارتيابهما المبكر من موقف ابن منصور من الدعوة، وأن الشيخ عبدالرحمن قد رفع أمره إلى الأمير بسبب كتاباته عن الخوارج[4]، وغاية الأمير نحو ذلك أن يتثبت في شأن ابن منصور، لا أن يشرفه بهذه المهمة، إلا أن يقال: إن الأمير أراد أن يكون

---

(١) انظر «علماء نجد» ٥/ ٩١.

(٢) في تعليقه على «السحب الوابلة» ٢/ ٧٠٤، ولعله استند في ذلك إلى البلاغ الذي ذكره الشيخ البسام.

(٣) انظر «عنوان المجد» ٢/ ١٢٤.

(٤) كما في «الدرر السنية» ٩/ ٢٠٠.

شرح ابن منصور لكتاب التوحيد برهاناً لبراءته مما يحوم حوله من شبهات، لكن هذا أيضاً بعيد لما ذُكر أولاً، ولما يأتي في الأمر الثالث.

الثالث ـ أن ابن منصور ما كان ليفوّت ذكر هذا لو كان واقعاً، بل كان يزيّن به مقدمته، ويحبّره فيها تحبيراً؛ لحاجته الماسّة إلى هذه التزكية الغالية، والشهادة الثمينة من الأمير بصفاء عقيدته، وأهليته لشرح متن يعد كتاب الدعوة الأوّل.

على أن الذي ذكره ابن منصور نفسه في سبب تأليفه هذا الشرح هو قوله في آخره: (.. ليس لنا في موضع ذلك من غرض في عيب أو سباب، وإنما الغرض هنا الذب عن دين رب الأرباب، أوجب لنا ولمن قبلنا من علماء الملة الإسلامية كصاحب هذا الكتاب التكلم في هذا الباب؛ نصيحة لله ورسوله وكتابه وأئمة المسلمين وعامتهم)[1].

كما قال في أوله: (فشرعت في هذا الشرح؛ لكثرة القراءة في متنه والمطالعة، وليكون لي أنيساً في الدنيا وذخراً في أحوال القيامة الهائلة الرائعة)[2].

أما الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن فقد طعن في نية ابن منصور في تأليف هذا الشرح، وقال في ذلك: (قد علم أن هذا المعترض ـ يعني ابن منصور ـ قد شرح كتاب التوحيد الذي قد صنفه الشيخ محمد ـ رحمه الله ـ، وتزين عند أهل الإسلام بشرح كتابه، وانتسابه إليه، والشهادة له بأنه على الحق، وأطنب في مدحه والثناء عليه في شرحه المذكور على مصنف شيخنا ـ قدس الله روحه ـ، فلما فاته بعض مقصوده من الدنيا التي إليها يسعى،

(١) ص ٢١٣٠.
(٢) ص ٥.

ولها يعمل، رجع القهقرى، وانقلب على عقبه؛ لأنه لوح له بعض أعداء التوحيد بما إليه يسعى، فولى مدبراً)[1].

وهذا من الشيخ عبداللطيف مبني على استيقانه من تصنيف ابن منصور لكتاب «كشف الغمة»، وتزكيته لمنهج ابن جرجيس؛ إذ لا يُتصور عند الشيخ عبداللطيف فيمن كان مخلصاً في تصنيف «فتح الحميد»، المشحون بدلائل التوحيد، أن ينتكس إلى مثل هذه الضلالات، والله أعلم.

موضوع الكتاب

الكتاب كما هو واضح من عنوانه شرح لـ«كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» لمؤلفه شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب عليه رحمة الله، وقد رتّب ابن منصور شرحه على حسب تبويب كتاب التوحيد.

ـ فقد صدر الكتاب بشرح أدلة المصنف على أن التوحيد أول واجب على المكلف، وما للتوحيد من الفضل من تكفيره للذنوب، ونجاة صاحبه من الخلود في النار، ثم زاد بيان ذلك ببيان ضده وهو الشرك؛ فبضدها تتبين الأشياء.

ـ ثم انتقل المصنف وتبعه الشارح بعد بيان التوحيد إلى بيان أهمية الدعوة إليه المشروطة بأن تكون على بصيرة، وذلك تحت باب: «الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله»، وباب: «تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله».

ـ ثم انتقل إلى الأبواب المفصّلة لمعنى التوحيد، والتحذير مما وقع فيه الناس من أنواع الشرك الأكبر والأصغر، فشرح الأبواب التي فيهاالتحذير

---

(١) «مصباح الظلام» ص ٣١٩.

من التعلق بغير الله ظانًا فيه النفع والضر، كلبس الحلق والخيوط والحروز لرفع البلاء، أو دفعه، والتعلق بالرقى والتمائم، والتبرك بالأشجار والأحجار، والذبح والنذر والاستعاذة، والاستغاثة بغير الله.

ـ ثم انتقل إلى بيان ما أورده المصنف من الآيات والأحاديث في الرد على من أجاز التعلق بالخلق، وأنهم ينفعون ويضرون، تحت الأبواب المتضمنة لذلك.

ـ ثم انتقل إلى شرح الأبواب المتعلقة بالغلو في الصالحين بأصنافهم المختلفة.

ـ ثم انتقل إلى شرح الأبواب التي عقدها المصنف لمعالجة الواقع الذي كان يعيشه كثير من الناس، من الذهاب إلى السحرة، وبيان شيء من أنواع السحر، والتحذير من الكهان، أو تصديقهم، وحكم النُشرة وهي حلّ السحر عن المسحور، والتحذير من المنجمين، وحكم الاستسقاء بالأنواء، والتطير.

ـ وما بقي من أبواب الكتاب جعلها المصنف في بيان تعظيم الله أو التحذير من الاعتقاد في بعض الخلق ما يُعتقد في الله، أو النهي عن أمور تنافي التوحيد أو كماله.

وقد تبع المؤلف المصنف فشرح هذه الأبواب وبين المقصود منها، وحذر من الوقوع في تلك المخالفات الشركية، مدعمًا قوله بالآيات، والأحاديث، والآثار، وكلام العلماء، والشعر.

منهج التأليف

سلك ابن منصور في شرحه لمتن كتاب التوحيد طريقة الشرح اللفظي، متخذاً ألفاظ المتن مفاتيح للدخول فيما له تعلق من أبواب العلم، مع

محاولة الإبقاء على الموضوع الأصلي للكتاب: العقيدة، فهو يأخذ ألفاظ المتن لفظاً لفظاً، مبتدئاً بالبسملة، بل ربما توسع في التعليق على بعض حروف المعاني، كما فعل مع حرف الباء الذي في أول البسملة، فيورد خلاصة ما ذكره علماء اللغة والنحو والأصول، وغيرهم ممن لعلومهم مجال فيما يشرح، وسمته العامة في ذلك: استقصاء الجمع، والإسهاب والاستيعاب، وهي السمة الغالبة على كتابات ابن منصور، فقد جرى عليها في ثاني أهم كتبه: «منهج المعارج»، وظهر تميزه فيها دون شك، فهو بحق قوي الاستقصاء للمادة العلمية، واسع الجمع، غزير المعلومات، تزدحم لديه النصوص والنقول حتى يكاد يعيا بسبكها في الكتاب، فربما حشرها تحت لفظة أو بعض لفظة من المتن، ثم اعتذر عن الاقتصار بخشية الإطالة!.

وظاهر من غزارة مادة «فتح الحميد» أن مؤلفه قد حشد له نفسه، واعتنى به غاية الاعتناء، وواظب على تنقيحه واستكماله، وكأنما أراد منه أن يكون شاهداً على مكانة مؤلفه من العلم والسنة، ودافعاً لما قد يتهم به من خلاف ذلك.

وهو عند شرح كل باب يعتني ببيان مناسبته لموضوع الكتاب، ولما قبله من الأبواب، ثم يأخذ في بيان الترجمة ـ العنوان ـ والنصوص الواردة فيه بإسهاب.

وبما أن المتن المشروح عماده الآيات والأحاديث، فقد عاد «فتح الحميد» أشبه بكتاب تفسير موسع عند شرح الآيات، وعند شرح الأحاديث يأخذ نفس شراح الصحاح والسنن، ولا عجب؛ فهذه مصادره، ولا يكاد يدع فيها فائدة إلا يوردها، ببسط أو إيجاز.

ثم يعتني أثناء ذلك ببحث المسائل العقدية المتعلقة بنصوص الباب،

بما في ذلك المسائل المذكورة في آخر الباب، إلا أنه لا يلتزم الإشارة إليها.

وهو في ذلك كله يعتني بالنواحي اللغوية والنحوية غاية الاعتناء، فيورد الشواهد وأقوال العلماء، وربما استطرد فشرح شاهدا، أو مثلاً من الأمثال، أو ذكر خلاف البصريين مع الكوفيين، كما فعل عند ذكر اشتقاق الاسم(١).

ومما يدل على عنايته الفائقة بالنواحي اللغوية أنه استشهد بأكثر من خمسمائة بيت، وهو كم كبير بالنظر إلى موضوع الكتاب.

ثم هو حريص غاية الحرص على إيراد خلاصة أقوال المحققين من أهل العلم، فلا يكاد يقع على كلام لأحدهم في مسألة تعرض له إلا ويثبته، مع عناية بينة بتنويع موارده في ذلك، وعدم الوقوف عند شخصيات محددة، ومن أبرز من أكثر النقل عنهم: الخطابي، ابن عبدالبر، ابن عقيل، السهيلي، ابن العربي، القرطبي، النووي، ابن قدامة، ابن تيمية، ابن القيم، ابن كثير، ابن مفلح، ابن رجب، ابن حجر.

وقد يتوسع في بعض المسائل الكلامية؛ ليبين وجه مخالفتها لمذهب السلف، كمسألة الاسم والمسمى(٢)، أو الفلسفية، كماهيّة الروح، والفرق بينها وبين النفس(٣).

أما إيراد الأحاديث والآثار المتعلقة بكل مسألة فهو الذي أثرى الكتاب وجعله أوسع الشروح؛ إذ لم يأل جهداً أن يستوعب فيه ما حوته كتب السنة،

---

(١) انظر: ص ٣٩.

(٢) انظر: ص ٤٠ وما بعدها.

(٣) انظر: ص ٢٥٢ وما بعدها.

وأن يجمع فيه مبلغ طاقته وعلمه عند كل مناسبة ما هو صالح للاحتجاج أو للاستئناس، مع عناية بينة بنقد المرويات المرفوعة، وبيان درجتها من الصحة.

والحق أنه قد تميز في هذا الجانب عن غيره من شراح «كتاب التوحيد»، بما عساه أن يكون شافعاً له فيما أخذ عليه في هذا الكتاب مما يتعلق بالمنهج كما يأتي، كما أبان فيه عن استقراء قريب من التمام لدواوين السنة، يغبط عليه.

موارده

ظاهر أنه قد تيسر للمؤلف مكتبة ضخمة، جعلت المصادر والمراجع الأساسية لمختلف العلوم في متناول يده، وهو أمر نادر ـ بل مستغرب ـ في موطن المؤلف بالنسبة لعصره؛ فلعل ذلك يرجع إلى طول إقامته في العراق كما سبق ذكره في سيرته، وتكون هذه إذاً إشارة مهمة إلى بكور تصنيف هذا الشرح، وأن المؤلف قد ابتدأ فيه ـ أو في جمع مادته على الأقل ـ منذ إقامته في «الزبير»، وهو متسق تماماً مع تصنيفه «الرد الدامغ» آنذاك، ومهما يكن من أمر، فقد أجاد المؤلف الاستفادة من مكتبته، واستثمرها أيما استثمار، فظفر بثمرة يانعة ضخمة ليس لها نظير، وإن كان لا يخفى أن الوصول إلى كثير من هذه المصادر إنما كان بواسطة الشروح المطولة، كفتح الباري وغيره، وسأنبه فيما يلي إلى المصنفات التي أكثر المؤلف من النقل عنها سوى كتب السنة المشهورة، مع أنه في كثير من الأحيان لا يلتزم بالإشارة إليها:

ـ «غريب الحديث» و«الأمثال» لأبي عبيد، (ت٢٢٤هـ).

ـ «كتاب الزهرة»، لابن داود الأصبهاني (ت٢٩٧هـ).

- كتب ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، ولا سيما التفسير والتاريخ.
- «غريب الحديث» للخطابي (ت٣٨٨هـ).
- «الفنون» لابن عقيل (ت٥١٢هـ).
- تفسير البغوي (ت٥١٦هـ).
- «الكشاف» للزمخشري، (ت٥٣٨هـ).
- كتب القاضي أبي بكر ابن العربي (ت٥٤٣هـ).
- شروح صحيح مسلم، للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ)، ولأبي العباس القرطبي (ت٦٥٦هـ)، وللنووي (ت٦٧٦هـ).
- «الروض الأنف» للسهيلي (ت٥٨١هـ).
- كتب ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، ولا سيما: «تلبيس إبليس»، و«زاد المسير»، و«الموضوعات»، و«ذم الهوى».
- «النهاية في غريب الحديث والأثر» و«جامع الأصول»، لأبي السعادات، ابن الأثير الجزري (ت٦٠٦هـ).
- تفسير القرطبي (ت٦٧١هـ).
- كتب شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، ولا سيما: «المسودة»، و«اقتضاء الصراط المستقيم»، و«الإيمان»، و«الاستغاثة».
- كتب ابن الفركاح الفزاري (ت٧٢٩هـ).
- كتب العلامة ابن القيم (ت٧٥١هـ)، ولا سيما: «بدائع الفوائد»، و«مدارج السالكين»، و«زاد المعاد»، و«إغاثة اللهفان»، و«الطرق الحكمية»، والنونية.
- «الفروع» لابن مفلح (ت٧٦٣هـ).

- تفسير ابن كثير (ت٧٧٤هـ).
- «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ت٧٩٥هـ).
- «مجمع الزوائد»، لنور الدين الهيثمي (ت٨٠٧هـ).
- «فتح الباري» لابن حجر (ت٨٥٢هـ).
- «فيض القدير» للمناوي (ت١٠٣١هـ).

مكانة «فتح الحميد» بين شروح التوحيد

«فتح الحميد» من أوائل الشروح على كتاب التوحيد، لم يسبقه تقريباً سوى «تيسير العزيز الحميد» لسليمان بن عبدالله، و«تحقيق التجريد» للعجيلي، وقد صرح ابن منصور بأنه لم يقف على الأول منهما، ووقوفه على الثاني أبعد، لكنه سبق الشروح جميعها في السعة وغزارة المادة، ولا سيما استيعاب الآثار وأقوال العلماء، فهو بحق بين شروح التوحيد أمة وحده، ومع ذلك لا يظهر له إطلاقاً أي أثر في من بعده، مع أن غالب الشروح لا تعدو أن تكون اختصاراً للشرح الأول، فما الذي حال بينها وبين الانتفاع بهذا الشرح النفيس!؟، لا شيء سوى ذلك الحصر الذي فُرض على كتابات ابن منصور، وسائر ما يمت له بصلة؛ بسبب موقفه المشبوه أول الأمر، ثم الصريح، من الدعوة وأتباعها، فظل الكتاب قابعا عند مصنفه وبعض محبيه، وربما سرى لدى بعض العلماء وطلاب العلم، ونرى أن هذا الموقف لم يكن إيجابيا؛ فقد حوى الكتاب علوما ومعارف كان من التفريط حجبُها عن دارسي كتاب التوحيد وشارحيه، ولعلها لو أُتيحت لأسهمت في رفع مستوى الثقافة الشرعية في بلاد تندر فيها المكتبات في ذلك العصر.

ولا تنهض المآخذ الواردة على «فتح الحميد» لتبرير إهماله؛ فهي نادرة ومحتملة، ولا يكاد يسلم منها كتاب، كما أن موقف الشارح المضطرب من

صاحب المتن ودعوته لا يدعو إلى تجاهل شرحه، بل كان الأولى إبرازه وجعله شاهداً على بطلان التوجّه السلبي لصاحبه، وشاهداً على حرص أتباع الدعوة على الأخذ بالحكمة أينما وُجدت، وقدرتهم على التمييز بين ما يحسن أخذه، وما يجب تركه، كما هي السنة مع مختصر ابن سلوم لشرح السفارينية، وقد طبع قديماً، مع أن عداوته أشد وأظهر، وابن منصور ـ إن رُجّحت عداوته ـ لا يعدو كونه تلميذاً له فيها.

تقييم العلماء لفتح الحميد

أعز تقريظ وثناء على «فتح الحميد» هو ما خطه الشيخ عبدالرحمن بن حسن بيده على إحدى نسخه، قال فيه: (نظرت في هذا الشرح، فرأيته شرحاً حسناً، قد أجاد فيه مؤلفه وأفاد، كان الله في عونه، ولكنه ذكر فيه شيخَه محمد بن سلوم، وحالُه في الاعتقاد معلوم، فلو أعرض عن ذكره رأساً لحسن هذا الشرح عندنا، وفاق عند أمثالنا، قاله كاتبه عبدالرحمن بن حسن، عفا الله عنه).

وظاهر من قوله (نظرت في هذا الشرح) أنه لم يقرأ جميعه، بل ولا أكثره، وأنه اطلع على أوله، وربما تصفّحه وقرأ مواضع منه، فلا تعجب إذا رأيته يرجع عن هذا الثناء، فيقول في رسالة بعثها إلى ابن منصور: (إذا فتّشنا عن كلامك في شرحك وغيره وجدنا معتقدك في توحيد الإلهية معتقد عبدالله المويس: حظه منها اللفظ مع إنكار المعنى، وتضليل من عمل بمعناها وقام بمقتضاها)[1].

وهذا التقريظ يدل على أن الخصومة مع ابن منصور إنما استطارت

---

(١) الدرر السنية: ٩/ ٢٣٠. وعبدالله المويس من خصوم الدعوة، لم أهتد إلى ترجمته.

بعد عام ١٢٥٢هـ، تاريخ النسخة الأولى التي كتب عليها التقريض، فيكون حال ابن منصور قبل ذلك خافياً على الشيخ وابنه عبداللطيف؛ إذ لا حامل له على هذا التقريض وهو في ريبة منه، وإن كانت عبارته فيه لا تخلو من الإيحاء بعدم الرضا.

وذكر ابن سلوم المنتقد على المؤلف في هذا التقريض هو إشارته إليه ـ على استحياء ـ في قوله: (وكذا اتصل لنا مسند الإمداد... من جهة مشايخ جمة، منهم: محمد بن سلوم عن شيخه..)[١]، لا غير، ولم يقل: شيخنا، أو حتى: الشيخ، مع أنه أسبغ الألقاب على مشايخه قبله وبعده، ومنهم المقرض نفسه، حيث قال قبيل ابن سلوم: (وقد اتصل سندنا بالإجازة إلى ما في المسند المسمى بالإمداد... من طريق شيخنا الأوحد، والإمام المفرد، الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حفيد مصنف هذا الكتاب، متع الله بحياته، وبارك له في جميع أوقاته).

وقد كان غير ابن سلوم من أئمة الأشاعرة الذين اعتد المؤلف بكلامهم كالجويني والغزالي وابن العربي أولى أن يعاب الكتاب به من هذا الذكر العارض لابن سلوم، وهي إشارة أخرى إلى أن الشيخ عبدالرحمن لم يقرأ الكتاب.

أماالشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن فيقول في رسالة بعث بها إلى من يشك في عداوة ابن منصور للدعوة: (.. حتى كتابه الذي يزعم أنه شرح على التوحيد، رأيت فيه من الدواهي والمنكرات ما لا يحصيه إلا الله، من ذلك: قوله في الكلام على قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا

---

(١) «فتح الحميد»: ص ١٩.

لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾: إن ابن العربي المالكي قال: العبادة هي موافقة القضاء والقدر، وابن عباس يقول: كفرالكافر تسبيح، هذا رأيته بخط ابن نصرالله من أهل بلده، في كلامه على كتاب التوحيد، ولهذا نظائر وأخوات لا يعرفها إلا من وقف على كلامه من طلبة العلم)[1].

ومع الاتفاق مع الشيخ عبداللطيف على إنكار هذه الداهية التي أشار إليها، بل وإنكار اعتداد المؤلف في مجال العقائد بكلام القاضي ابن العربي وأضرابه من المتكلمين أو المتأثرين بهم، إلا أنا لا ينبغي أن يتجاوز بنا الحد إلى اعتبار الدواهي والمنكرات في «فتح الحميد» لا يحصيها إلا الله!، وقد حملتنا هذه العبارة ـ وكنا قرأناها قبل قراءة «فتح الحميد» والبدء بتحقيقه ـ على مضاعفة الفحص والتدقيق، والبحث والتنقيب أثناء التحقيق، عما يمكن أن يستحق هذا الوصف أو يقاربه من أخطاء الكتاب، فلم نظفر بشيء سوى ما ذكرنا هنا، إلا أخطاء معتادة لا يخلو منها كتاب بهذا الحجم، وأكثرها مما هو مجال للاجتهاد.

ثم حتى هذا الذي شُنع به على المؤلف من تفسير العبادة في آية الذاريات بالعبادة الكونية القدرية، لا يعد منكراً من القول إذا صين من معتقد وحدة الوجود، بل هو القول الذي اختاره إمام المفسرين ابن جرير الطبري، واحتج عليه في تفسيره بما رواه عن ابن عباس أنه قال: (قوله ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]: إلا ليقروا بالعبودة طوعاً وكرهاً).

---

(١) الدرر السنية: ٩/ ٣٣٣، وانظر كلام ابن العربي في «فتح الحميد»: ص ١٥٨ وفي هامش الورقة رد مختصر عليه لا يستبعد أن يكون للشيخ عبداللطيف.

ثم قال ابن جرير: (فإن قال قائل: فكيف كفروا وقد خلقهم للتذلل لأمره؟. قيل: إنهم قد تذللوا لقضائه الذي قضاه عليهم؛ لأن قضاءه جارٍ عليهم، لا يقدرون من الامتناع منه إذا نزل بهم، وإنما خالفه من كفر به في العمل بما أمر به، فأما التذلل لقضائه فإنه غير ممتنع منه)[1].

هذا، وممن أشاد بالكتاب وأطراه، تلميذه، المؤلف المؤرخ ابن بشر، فبخطه على ديباجة المسودة كتب: (ليعلم الواقف على هذا الكتاب الجليل، والشرح الذي ليس له مثيل، للشيخ. . .).

المآخذ على الكتاب

لا يسلم كتاب غير كتاب الله المجيد من قصور ما، ولا يبلغ منزلة يُعصم فيها من النقد، أو يتعالى صاحبه فيه عن المناقشة والمساءلة، ولا غضاضة عليه البتة في ذلك، بل هو سبيل استكماله وتحقيق مقاصده العلمية على التمام.

ولقد أُخذ على «فتح الحميد» مآخذُ عدة، في منهج الكتاب ومصادره ومادته وأسلوب صياغته، ننبه فيما يلي على ما كان منها سبيله الإجمال، وما كان سبيله التفصيل نُرجئه لموضعه من حواشي الكتاب.

ففي المنهج يؤخذ عليه التزام طريقة التحليل المسهب لألفاظ الكتاب ومفرداته، فقد أدى به إلى كثرة الاستطرادات في غير مسائل العقيدة، من اللغويات والأدبيات والتراجم والتواريخ وغيرها، وهذا الضرب من الاستطراد إنما يسوغ في إحدى حالين: الأولى أن يكون له تعلق ولو من بعيد بشيء من مسائل العلم الذي ألف فيه المتن المشروح، بحيث يترتب عليه

---

(١) تفسير الطبري: ٢٧/ ١٢.

الاستدلال والبيان والترجيح، كمسألة الحقيقة والمجاز في اللغة مثلاً، وتعلقها بموضوع الصفات الإلهية، الحال الثانية أن يكشف الاستطراد خطأ علميا شائعا عرض للمؤلف لمناسبة ما، ربما لا تعود، فينبه عليه، وهذا إنما يحسن ممن يكتبون بنفس التحقيق، لا الجمع.

وقد يُعتذر للمؤلف بأن هذه هي السمة العامة للتأليف في العصور المتأخرة[1]، إلا أن هذا العذر سيكون أقرب للقبول لو كان موضوع الكتاب فنًّا آخر سوى العقيدة؛ فإن التصنيف فيها يتطلب مزيداً من الدقة والتحرير؛ لما يترتب على الخطأ في مسائلها من الانحراف والضلال.

ومن أمثلة استطراداته من هذا النوع ما ذكره عن البدل، فقد أطال فيه حتى عاد الكتاب أشبه بكتاب نحو[2].

كما يؤخذ عليه في منهجه كثرة التصرف في عبارات العلماء المنقولة دون تنبيه، وقد أدى به ذلك إلى قلب المراد من الكلام أو تغييره أكثر من مرة، كما فعل مع كلام ابن القيم في الاسم والمسمى[3]، وربما تمادى في التصرف حتى طال النظم!، كما فعل ببيت أبي النجم:

عشِّي **تميم** واصغُري فيمن صغَر ولا تريدي الحرب واجتزّي الوبر

فاستبدل [فعيل] بـ[تميم]، فقال: عشِّي فعيل..؛ إذ هو تميمي[4]،

---

(١) هذه السمة من دواعي تسميتها بعصور الانحطاط.

(٢) انظر ص ٥٣ وما بعدها.

(٣) انظر ص ٤٢ وقريب من هذا خلطه أقوال العلماء على حديثين مختلفين مما يوهم اختلافهم في معنى أحدهما، كما في حديث «قلدوا الخيل، ولا تقلدوها الأوتار»، ص ٥٠٦ وما بعدها.

(٤) انظر ص ٣٠٦.

وفعَل نحو هذا في نظم الصرصري الذي أورده آخر الكتاب؛ إذ اشتمل على لون من التوسل البدعي.

ومثل هذه التصويبات جادّتُها التعليق والاستدراك على النصوص المنتقدة، أو الإعراض عنها وعدم إيرادها أصلاً، لا تبديلها والتصرف فيها على هذا النحو.

أما في المصادر فيؤخذ عليه الاعتماد أحياناً على بعض المصنفات المنتقدة عقديا، والاعتداد بكلام مؤلفيها من أهل البدع والمتأثرين بهم، دون تمييز وتمحيص، كالذي نقله في بيان مصطلح «التوحيد» عن «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، الفيلسوف الصوفي الأشعري![(١)]، أو كالذي أطال بنقله عن القاضي أبي بكر بن العربي المالكي الأشعري في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[(٢)].

أما في المادة فيؤخذ عليه الإكثار من إيراد الآثار الضعيفة، وإن كان ينبه على ضعفها أحياناً، لكن أحياناً لا ينبه، كحديث: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»[(٣)]، وربما أورد ما لا أصل له جازماً برفعه إلى النبي ـ ﷺ ـ، كحديث: «ما ساد بخيل قط»، كرره في موضعين جازماً برفعه[(٤)]، وقد كان له سعة في أن يورد مثل هذا بصيغة التمريض.

ويؤخذ عليه أيضاً الوهم عدة مرات في كتابة بعض الآيات، فيخلطها

---

(١) انظر ص ٨٩.
(٢) انظر ص ١٦١.
(٣) انظر ص ٣٩٣.
(٤) انظر ص ٢٠١، ٢١٢.

بغيرها من شبيهاتها، ومرد هذا فيما يبدو أنه يكتبهامن حفظه[١].

كما وقع منه أوهام في عزو بعض الأحاديث، كحديث «اللهم أصلح لي دنياي التي فيها معاشي . . »، عزاه إلى السنن، وإنما هو في صحيح مسلم[٢]، وكحديث «رغم أنف رجل أدرك أبويه . . » إلخ، أطلق عزوه إلى البخاري، فأوهم أنه في الصحيح، وإنما هو في الأدب المفرد، وقد كان عزوه إلى مسلم أولى؛ حيث خرجه في صحيحه[٣].

وربما أورد أثراً، ثم قال: «وفي لفظ»، ثم أورد بقية الأثر من نفس المصدر، مع كونه أثراً واحداً![٤].

وأما في الأسلوب فيقع فيه أحياناً بعض التراكيب الركيكة، غير المستقيمة لغةً، كتعديته الفعل «دل، يدل، دلالة» بنفسه إلى مفعول واحد، دون استعمال حرف الجر «على»، نحو: وهذا يدل كذا، وفيه الدلالة أن كذا[٥]، في حين يعدي بحرف الجر فعلا يتعدى بنفسه، كما في قوله: «والفقير غير داخل في مسمى المسكين إلا أن يريدوا باستعماله **لمسمى** واحد»[٦]. والصواب: إلا أن يريدوا باستعماله مسمىً واحداً.

وقريب من هذا قوله: « . . لم يعتذرهم إلا بعدم الوجود بشيء يقربه لصنمهم»[٧]، والصواب أن يقال: . . لم يعتذر لهم إلا بعدم وجود شيء

(١) انظر مثلا ص ١٧٤، ٣٦٦، ٣٦٩، ٤٢٣، ٤٣٩، ٤٨٢.
(٢) انظر ص ١٧١.
(٣) انظر ص ٢٠٨، وانظر أمثلة أخرى في ص ٢٦٨، ٢٩٢.
(٤) انظر أثر ابن عباس في ص ٢١٨.
(٥) انظر ص ١٧٦، ٤٥٣.
(٦) انظر ص ١٩٥، وانظر مثلها ص ١١١٢.
(٧) انظر ص ٦٠٥.

يقربه لصنمهم.

ومن أمثلة ذلك استعماله مصدر الفعل اللازم «قام» موضع مصدر المتعدي «أقام»، في قوله: «أرشد ـ سبحانه ـ إلى الدواء **قياماً** للحجة علينا»[1]، يريد: إقامةً للحجة..

ومن ذلك استعماله الفعل «غاط» موضع «تغوّط»[2]، و«تترى» حالاً للمفرد، مع أنها اسم جمع[3].

ومن ذلك استعماله الفعل «يعاونه» في حق الرب ـ جل وعلا ـ بدل يعينه[4].

كما لم يخل الكتاب من الأخطاء النحوية الجلية[5].

وأحياناً تستغلق عبارته بسبب الركاكة، مع كون المراد سهلاً واضحاً، كقوله في شرح عبارة: «فأخبر بها معاذ عند موته تأثما»، الوارد على لسان الراوي في حديث «أتدري ما حق العباد على الله..»، قال المؤلف في شرحها: فأخبر بذلك عند خروجه من الدنيا.. لما أمن المفسدة بإخباره بقول رسول الله ـ ﷺ ـ بأن الذي منعه عن إخبار الناس مخافة الاتكال، فصار هذا الكلام مقروناً به عن المحذور، فحدث به[6].

وكقوله في بيان فضل العلم وشؤم الجهل: «.. فإنه إذا زال العلم

(١) انظر ص ١٩١.
(٢) انظر ص ٢٥٨.
(٣) انظر ص ٤٤١.
(٤) انظر ص ٦٦٥.
(٥) انظر مثلا ص ٤٣٧، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦٦.
(٦) انظر ص ٢٢٩ وانظر مثالا آخر في أول ص ٢٧٧.

استوى عند صاحب ذلك الحق والباطل، والضار والنافع. .»، فقوله «صاحب ذلك» يعني به من زال عنه العلم ليس إلا[1].

وكقوله في التعليق على قول القائل «أعذني يا رب»: «وصدور صيغة الأمر بنا ـ كذا كتبت ويبدو أن صوابها: منا ـ وهو الامتثال بالأمر إرشاداً منه ـ سبحانه ـ بالالتجاء إليه. .»[2].

ومن أمثلة التكلف في عباراته قوله تعليقاً على قول إبليس عن آدم ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾: «فخرج من خضوع العبد إلى كبرياء الباري، بالمحاورة إلى خصمه بالجدال، فزالت المسامحة بحد العداوة، وانقلبت معاتبة الود إلى التقنط من العود بالرحمة»[3].

ومما لا يكاد يغتفر للمؤلف في صياغته تذييله على ما ينقله من عبارات العلماء بما يوهم أنه من تتمة كلامهم، دون إشعار للقارىء بذلك، وبمراجعة المصادر التي نقل عنها يتبين تركيبه لعباراته على عبارات غيره بصورة توهم أن العبارة ما زالت للقائل الأول، وغالباً ما يكون هذا في صورة التعليل لأقوالهم، أو العطف عليها، فإذا اجتمع هذا إلى كون المؤلف يتصرف في العبارات المنقولة غالباً دون إشارة، تضاعف بذلك الإيهام.

ومن أمثلة ذلك قوله: «قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ ومعناه لغيره من السلف ـ: ومن ظن أن قوله ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ بمعنى قدر، وأن الله ما قضى بشيء إلا وقع، كما يقول الملحدون في آيات الله، بأن جعل عباد الأصنام ما

---

(١) انظر ص ٣٣١، وانظر مثالاً آخر في ص ٣٦٢.
(٢) انظر ص ٦٦٥.
(٣) انظر ص ٤٧٧.

عبدوا إلا الله، فإن هذا من أعظم الناس كفراً بالكتب كلها؛ **إذ قائل هذا لا يخرج عن قول من قص الله علينا قولهم:** ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ . . » إلخ[1].

فبالرجوع لمصدر هذا الكلام[2] يتبين أنه ينقله بتصرف، وأن الكلام من «كلها» فما بعد للؤلف[3].

ومن أمثلة ذلك أنه نقل قول شيخ الإسلام عن مسألة الاستغاثة: « . . ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل الإسلام إلا تفطن لها وقال: هذا أصل الإسلام»؛ **إذ إنكار المنكر من أعمال الكفر والشرك من الأقوال والأفعال أوسع من تكفير عاملها مع الجهل بمضادة قوله أو فعله لشهادة الإخلاص؛ فإنه يفر من ذلك لو علمه**[4].

فالكلام الأخير للمؤلف، ألصقه بكلام شيخ الإسلام في الرد على البكري، مروجاً لرأيه الذي ينتقد به الدعوة الإصلاحية، وخالفه فيه سائر علماء السنة كما سبق بيانه.

وقريب من هذا أنه أحياناً يختصر كلام العلماء اختصاراً يفسد المعنى، كما فعل بكلام للقرطبي عن حكمة تخصيص النطق بالتشبيه في قوله ـ تعالى ـ ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾[5].

---

(١) انظر ص ٢٠٦.

(٢) انظر الفرقان ص ٦٢، ومجموع الفتاوى: ١١/ ٢٦٩.

(٣) وانظر نظيرا لها مع كلام للخطابي في ص ٣٥١، ومع كلام للبزار ص ١١٩٥.

(٤) انظر ص ٧١٢.

(٥) انظر ص ٤٢٩.

الفصل السابع
نسخ الكتاب ومنهج التحقيق

توفّرت لنا ـ بحمد الله تعالى ـ ثلاث نسخ خطّية من فتح الحميد، أولاها النسخة المكية، وهي المسوّدة الأولى، وقد اخترنا لها الرمز: [م]، وهي من محفوظات مكتبة العلاّمة الشيخ عبدالله بن حميد ـ رحمه الله ـ، أهداها إليه بعض أحفاد ابن منصور حينما كان قاضياً في «المجمعة». وقد تفضّل ابناه الفاضلان: الشيخ الدكتور صالح، والشيخ الدكتور أحمد ـ حفظهما الله ـ، تفضلا مشكورين بصورة منها، فلهما منا جزيل الشكر ووافر العرفان.

أما النسخة الثانية فهي الكويتية، ورمزنا لها بـ[ك]، وهي من ذخائر مكتبة علامة الكويت، الشيخ عبدالله الدحيان ـ رحمه الله ـ الآيلة إلى مكتبة الأوقاف الكويتية، ورقم النسخة فيها (خ ٤١٢)، وتعتبر هذه النسخة المسوّدة الثانية للكتاب، وهي التي جعلت أصلاً لتحقيق النصف الأخير من الكتاب؛ إذ لم نعثر على المجلد الثاني من النسخة الثالثة، وقد حصلنا على صورة منها بواسطة خطاب تفضلت به مشكورة جامعة الكويت، كما أتاح الإخوة العاملون بمكتبة الأوقاف الاطلاع على أصل المخطوط ومراجعته عدة مرات، فلهم منا جزيل الشكر.

وأما النسخة الثالثة فهي نسخة الرياض، ورمزها: [ر]، وقد دلّنا عليها مشكوراً فضيلة الشيخ علي الشبل، حفظه الله ـ تعالى ـ وجزاه عنا خير الجزاء، وهي من محفوظات قسم المخطوطات بمكتبة جامعة الإمام محمد

ابن سعود الإسلامية تحت رقم (٨٩٨٥)، وقد صوّرها لنا الأخوان الكريمان: الشيخ سعد بن فلاح العريفي، والشيخ محمد بن سعود العريفي، حفظهما الله ـ تعالى ـ وأجزل لهما المثوبة، ولم يوجد من هذه النسخة سوى المجلد الأول.

وفيما يلي وصف لكل من النسخ الثلاث:

أولاً: النسخة[م]

هي أول نسخة ظهرت ـ فيما يبدو ـ من «فتح الحميد»؛ فقد أثبت أحد ناسخَيها: محد بن حمد بن عمير بن عبدالله بن ناصر، الناصري، الحنبلي، تاريخ الفراغ منها في نهار الثلاثاء ٢٨/ ربيع الأول/ ١٢٥٢هـ، كما في آخرها، وهي التي خطَّ عليها الشيخ عبدالرحمن بن حسن تقريضه بيده.

وقد عادت هذه النسخة مسوّدة بما ألحق بها المؤلّف من الإضافات الكثيرة في الطرر، التي أدخلت في صلب الكتاب في النسخة [ك]، ثم ألحق المؤلّف إضافات أخرى في طرر النسخة [ك]، أدخلت في صلب الكتاب في النسخة [ر]، وهذا ما حدا تلميذَ المؤلف المؤرخَ ابنَ بشر إلى أن يكتب على ديباجة النسخة [م] : (ليعلم الواقف على هذا الكتاب الجليل، والشرح الذي ليس له مثيل، للشيخ العالم الفاضل، والحبر المناضل، الشيخ القاضي عثمان بن منصور الناصري ـ متع الله بحياته ـ، أن هذا الكتاب بعينه هو مسودة الشرح المذكور، وأما المبيّضة فهي زائدة على هذه المسوّدة أكثر من. .[1]، وهي في مجلدين، فليعلم ذلك، قال ذلك وكتبه بإذن الشارح الفقيرُ إلى الله عثمان بن عبدالله بن بشر، وصلى الله على محمد وسلم). ثم

(١) كلمة غير واضحة، كأنها مطموسة، ويشبه أن تكون: «النصف»، أو «الثلث»، ولعل كاتبها تردد في التقدير فضرب عليه.

أثبت التاريخ: سنة ١٢٥٨هـ.

وقد كتب العنوان على هذه النسخة هكذا:

هذا «فتح الحميد في شرح التوحيد» بخط[1] جامعه
ومؤلفه الفقير إلى ربه الغفور عثمان بن عبدالعزيز
بن منصور الناصري ثم العمروي التميمي النجدي
الحنبلي يسئل من مولاه القبول والعفو
عن الخطأ والزلل وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
وحسبنا الله ونعم الوكيل

م م
م

وينبغي أن يكون هذا العنوان بخط ابن منصور؛ لتجرده من الثناء عليه، والعادة جارية بأن غيره لو كتبه لأثنى عليه، أو على الأقل للقّبه بالشيخ.

وكُتب تحت هذا العنوان تقريض الشيخ عبدالرحمن بن حسن بخط يده، وتحته تملك لحفيد المؤلف نصه: (ملك الفقير إلى الله عبدالرحمن بن عبدالكريم بن الشيخ عثمان بن منصور)، ولعله هو الذي أهداها للشيخ ابن حميد.

وفي الجهة المقابلة لصفحة العنوان كتب ما يلي:

---

(١) كأنها عدّلت إلى: «من خط جامعه».

لابن وكيع[1]

سلا عن حبّكِ القلب المشوقُ   فمـا يصبـو إليـك ولا يتـوقُ
جفاؤكِ كان لنا عنك[2] عزاءً   وقد يُسلي عن الولد العُقوقُ

وتحت هذين البيتين مباشرة كُتب:

عبرة[3]

قد يدرك الشرفَ الفتى ورداؤُه   خَلَـقٌ وجيـبُ قميصِـه مـرقـوعُ

وأكثر هذه النسخة بخط محمد بن حمد بن عمير، وهو خط نسخ جميل متقن، غير أن الإلحاقات في الطرر بخط آخر ليس بجميل، وينبغي أن يكون خط ابن منصور؛ إذ له وحده حق الإضافة في كتابه دون غيره، كما أن كثيراً من صفحات هذه النسخة كُتبت بخط آخر ليس بجميل[4]، أشبه ما يكون بالخط الذي في الطرر، فتكون بخط ابن منصور، ويكون قد أعان تلميذه على النسخ في بعض الأحيان؛ لطارىء ما.

---

(١) هو الحسن بن علي الضبي التنيسي، الشاعر المعروف بابن وكيع، ت ٣٩٣هـ، انظر الأعلام ٢/ ٢٠١.

(٢) كذا، وصوابه: جفاؤكِ كان عنكِ لنا عزاء...

(٣) كذا قرأتها، وربما تكون «عِزة»، وأستبعد كونها: «عنترة»؛ فالبيت لإبراهيم بن هرمة كما في اللسان: ١٠/ ٨٨.

(٤) انظر مثلا الصفحات: ٥/ ب ـ ٨/ أ، ١٩/ ب، ٢٠/ أ، ٢٢/ ب ـ ٢٣/ أ، ٢٤/ ب، ٢٥/ أ، ٣٦/ ب ـ ٣٨/ أ، ٤٩/ ب، ٥٠/ أ، ٥٢/ ب، ٥٣/ أ، ٦٥/ ب ـ ٦٧/ أ. من النسخة [م].

ثم اطلعنا على ما يؤيد هذا في قول المؤرخ إبراهيم ابن عيسى: (وقد رأيت شرح التوحيد لعثمان بن منصور في المجمعة عند عثمان بن شبانة في مجلد كبير سماه: «فتح الحميد في شرح التوحيد»، وتحت عنوانه بخط الشيخ عبدالرحمن بن حسن ما صورته: «نظرت في هذا الشرح...»، والكتاب المذكور جملة منه بخط المصنف عثمان بن منصور، وبعض أوله وآخره بخط ابن عمير)(١).

والواقع أن أكثره بخط ابن عمير كما سبقت الإشارة، لا أوله وآخره فحسب.

وابن عيسى يعني هنا النسخة[م] دون شك؛ فهي التي كتبت بخطين مختلفين، وهي التي أُثبت اسم ابن عمير آخرها، وهي التي عليها تقريض الشيخ عبدالرحمن بن حسن بخط يده.

وتجدر الإشارة إلى أن الناسخ قال في ص[٣٠٥/ ب]: (قال الشيخ أبقاه الله: وقد تم تبييضه على يد كاتبه ومصنفه.. إلخ). وهذه قرينة على كون الخط في ذلك الموضع لابن عمير، أما ورود العبارة نفسها في النسخة [ك] مع أنها بخط المؤلف فسيأتي توجيهه.

وأخيراً أنبه أن هذه النسخة تمثل الشرح كاملاً في مجلد واحد في أول إخراج له، وقد جاء في آخرها:

[وقع الفراغ من تعليق هذا الشرح المبارك المسمى بفتح الحميد في شرح التوحيد لشيخنا العلامة عثمان بن عبدالعزيز بن منصور ـ أيده الله، وقد أجاد وأفاد، وبلغ الغاية والمراد، فجزاه الله عن المسلمين خيراً، ووقاه

---

(١) عن مجموع لابن عيسى (١٣) مخطوطته محفوظة عند الدكتور عبدالرحمن العثيمين حفظه الله، وقد سمح مشكورا بالاطلاع عليه.

ضيراً ـ نهارَ الثلاثاء لثمانٍ وعشرين مضين من شهر ربيع أول، من سنة ١٢٥٢هـ، بقلم الفقير إلى ربه القادر، محمد بن حمد بن عمير بن عبدالله بن ناصر الناصري الحنبلي مذهباً، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه، آمين].

وتحت هذا كُتب البيت التالي:

يا رب ترحم عُبيداً كان كاتبَه   يا قارىء الخط قل بالله: آمينا

وكُتب تحته: [من وجد عيباً فليصحِح؛ فإنه من التعاون على البر والتقوى].

هذا وقد استغرقت النسخة [م] ٣١٢ ورقة، عدد أسطر الصفحات ٢٣ غالباً، في كل سطر نحو ١٧ كلمة، وقد كتبت بخط نسخ عادي، المتن باللون الأحمر، والشرح بالأسود.

ثانياً: النسخة[ك]

هي في الأصل مبيضة عن النسخة السابقة؛ فقد أدخلت الإلحاقات التي كانت في الطرر في الصلب، ثم أضيفت إلحاقات أخرى كثيرة، أدخلت في الصلب في الثالثة الأخيرة، فصارت هذه كالمسودة لها.

وقد طُمس اسم الناسخ وتاريخ النسخ من آخرها تماماً(١)، لكن يُعرف من كونها بخط واحد من أولها إلى آخرها(٢)، هو خط الصلب والطرر، أنها بخط المؤلف لا غير؛ ولا يشكل على هذا إلا قول الكاتب في آخر الكتاب:

---

(١) الطمس متعمد، ولا يبعد أن يكون بدافع العداوة للمؤلف.

(٢) ما عدا الصفحتين [١٩٣/ أ] و[١٩٤/ ب]، وهما من أول باب ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد، فقد لاحظنا أنهما كُتبتا بخط مغاير، وربما حديث، فوقع في النفس أن هاتين الصفحتين تلفتا فانتسخهما مالك النسخة بيده، والله أعلم.

(قال الشيخ أبقاه الله) يريد المؤلف، وجواب هذا أن المؤلف نسخها عن المسوّدة التي اشترك في خطّها مع تلميذه ابن عمير، فلما بلغ هذا الموضع الذي كتبه تلميذه لم ير داعياً لتغيير دعاء تلميذه له، فأثبته كما هو.

ويتأيّد كونها بخط المؤلف بمطابقة خطها تماماً لمخطوطةٍ لكتاب: «المسوّدة» في أصول الفقه لآل تيمية، كتبت بخط ابن منصور سنة ١٢٥٥هـ.

وقد كتب نفس العنوان السابق على هذه النسخة، وبنفس الخط، وهو خط المؤلف، إلا أن فيه: «بخط مؤلفه وجامعه»، بدل: «بخط جامعه ومؤلفه»، ومثل هذا التصرف عادة لا يفعله مجرد ناسخ، بل ناسخ مؤلف.

وعلى يمين العنوان كُتبت العبارة التالية: [في الحديث عن النبي ـ ﷺ ـ: (دخلت الجنة فرأيت عامة من يدخلها البله)[1]، قال الأزهري[2]: «الأبله»: الذي طبع على الخير، وهو غافل عن الشر، وهذا. . . في حقه القتيبي: هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور، وحُسن الظن بالناس].

ومكان النقط غير واضح.

وتحت العنوان كُتبت الفائدة التالية بخط المؤلف:

[«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة»، حكمة التقييد به مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة: أنه يظهر فيه سؤدده لكل أحد هناك، . . . ولا معاند.

وقوله: «وأول شافع وأول مشفع»، قال النووي: إنما ذكر الثاني لأنه

---

(١) أخرجه بمعناه البزار بسند ضعيف كما في المجمع: ١٠/ ٢٩٤، ورواه البيهقي بإسناد منكر في الشعب: ٢/ ١٢٥.
(٢) «تهذيب اللغة»: ٦/ ٣١٢.

قد يشفع اثنان، فيشفّع . . . الأول].

ومكان النقط متآكل.

وتحت هذه الفائدة نَقَلَ ابنُ نصرالله تقريض الشيخ عبدالرحمن بن حسن على النسخة [م]، إلا أنه فيما يبدو نقله من حفظه؛ فقد أبدل بعض الكلمات بمرادفات لها: فكتب «تأمّلت هذا الشرح» مكان «نظرت في هذا الشرح»، وزاد كلمة «وأوضح» في قوله: «قد أجاد فيه مؤلفه **وأوضح** وأفاد»، وكتب: «غير أنه ذكر أن شيخه محمد بن سلوم»، بدل: «ولكنه ذكر فيه شيخه محمد بن سلوم»، وحذف ـ فيما يبدو من المصوّرة ـ كلمة «الشرح» من قوله: «لحسن هذا الشرح عندنا».

وقد أُثبت في آخر هذه النسخة تحت موضع تاريخ النسخ المطموس نص حديث أبي هريرة في صحيح مسلم: «خُلقت التربة يوم السبت. . . إلخ»، وانتقاد العلماء له.

وقد جاءت هذه النسخة في جزء واحد ضخم، بلغ ٢٠٤ لوحة، عدد الأسطر في الصفحة ٣٧ سطراً غالباً، وأحياناً ٣٨، في كل سطر ما بين ١٧ـ ٢١ كلمة.

ثالثاً: النسخة[ر]

وهي فيما يبدو آخر إخراج للكتاب؛ فقد أدخلت في صلبها الزيادات التي كانت في طرر النسخة السابقة، ثم لم تُضف إليها أية زيادات.

وقد فرغ من كتابة المجلد الأول من هذه النسخة تلميذ المؤلف: محمد بن حمد بن نصرالله بن فوزان بن نصرالله بن محمد بن عيسى بن حمد بن عيسى بن صقر بن مشعاب، يوم الاثنين، لثلاث بقين من ذي القعدة، سنة ١٢٥٧هـ، كما هو مثبت في نهاية المجلد الأول.

وقد جاءت هذه النسخة في مجلدين، لم نعثر إلا على أولهما، وينتهي بنهاية الباب الثاني والعشرين: (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان).

وقد قابل المؤلف هذه النسخة على أصلها، كما هو مثبت في الطرر في مواضع كثيرة، وعبارته في ذلك بخطه: [بلغ مقابلةً وتصحيحاً على أصله، فصحّ على يد مؤلفه عفا الله عنه]. وقد نبّهنا على هذه العبارة في الحاشية حيثما وردت.

والأصل الذي قوبلت عليه هذه النسخة هي النسخة [ك] لا غير، فصح بذلك كونها مسودة للنسخة [ر] وإن كانت [ك] مبيضة عن النسخة [م]، كما صح كون [ر] آخر النسخ الثلاث.

ولا فرق بين[ر] و[ك] إلا دمج ما في الطرر في صلب الكتاب، ومقابلة المؤلف، واختلاف الناسخ، أما المضمون فمطابق تماماً، لا يكاد يوجد اختلاف حرف واحد.

والراجح أن تكون هذه النسخة هي التي ذكر محقق «عنوان المجد»: عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ أنها موجودة في مكتبة عمه الشيخ محمد بن عبداللطيف[1]، فتكون من بقايا كتب ابن منصور التي صودرت إثر وفاته، ثم أهديت بعد ذلك لمكتبة جامعة الإمام.

وهي واضحة الخط، تآكل من أوّلها ورقتان بفعل الأرضة، هما ورقة العنوان، وورقة المقدمة، والورقة الثالثة ممزوعة الصفحة اليمنى، لم يبق منها إلا الثلث تقريباً، والصفحة اليسرى تبدأ بتتمة مسرد أبواب التوحيد: الباب التاسع والأربعون...، وفيها ختم مكتبة جامعة الإمام، قسم

---

(١) انظر «عنوان المجد»: ٢/ ١١٩، حاشية.

المخطوطات، ويحمل الرقم (٨٩٨٥/ خ).

ومقاس الأوراق ٢و ١٦x ٩و٢٢سم، وعددها في المجلد الأول ٢٠٨، وعدد السطور ما بين ٢٤ـ٢٧ غالباً، وعدد الكلمات في السطر ما بين ١١ـ١٨ غالباً.

منهج التحقيق:

اتخذنا النسخة الأخيرة [ر] أصلاً لتحقيق النصف الأول من الكتاب؛ لكونها الإخراج الأخير له؛ فقد قابلها المؤلف نفسه على أصلها، وأذن لتلميذه ابن بشر أن يكتب تنبيهاً على النسخة [م] وهي مسوّدة مسوّدتها، بأن مبيضة الكتاب في مجلدين، ولا يوجد نسخة في مجلدين إلا هذه.

وقد أتممنا نسخ جميع الكتاب أولاً من النسخة [ك] قبل العلم بالنسخة [ر]، ثم تمت مقابلتها عليها ومقارنتها لها، فلم تظهر لنا اختلافات تستحق الإثبات في الحاشية، أما المسودة الأولى [م] فلم نرجع إليها إلا حال استغلاق الخط، أو وقوع شك في القراءة.

ثم سلكنا في توثيق النص البنود التالية:

١ـ أثبتنا أسماء السور وأرقام الآيات في الصلب هكذا: [الفاتحة/ ١]، ولم نجعلها في الحواشي تخفيفاً؛ فهي كثيرة جدا، وجعلناها برسم المصحف.

٢ـ عزونا الأحاديث والآثار إلى مظانها، ولم نلتزم ذكر الكتاب والباب إلا في أحاديث الصحيحين؛ لكثرة المرويات في الكتاب، فنكتفي بذكر الجزء والصفحة والرقم.

٣ـ ما كان من المرفوعات في غير الصحيحين فإنا نذكر حكمه عند من تكلم عليه، كالترمذي في السنن، والحاكم في المستدرك، والهيثمي في

«مجمع الزوائد»، وغيرهم من القدماء بحسب ما تيسر لنا، وهو قليل، على أن المؤلف قد اعتنى ببيان حكم كثير منها، كما نذكر غالباً حكمها عند محدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله وجزاه عن طلاب العلم خير الجزاء ـ؛ لتعويل أكثر طلاب العلم عليه في ذلك، مع مراعاة من خالفه في الحكم على بعض الأحاديث.

هذا ولم نتكلف مجاوزة ذلك؛ لخروجه عن موضوع الكتاب، أما الآثار فلم نلتزم الحكم عليها مطلقاً.

٤ـ حرصنا على عزو أقوال العلماء ونقول المؤلف إلى مصادرها الأصلية، حتى إن كان ينقل عنها بواسطة، وما سكتنا عنه فإنه لم يتيسر لنا العثور عليه.

٥ـ ترجمنا لمن تدعو الحاجة إلى التعريف بهم من الأعلام وهم كثر، لكن حرصنا على الإيجاز في ذلك.

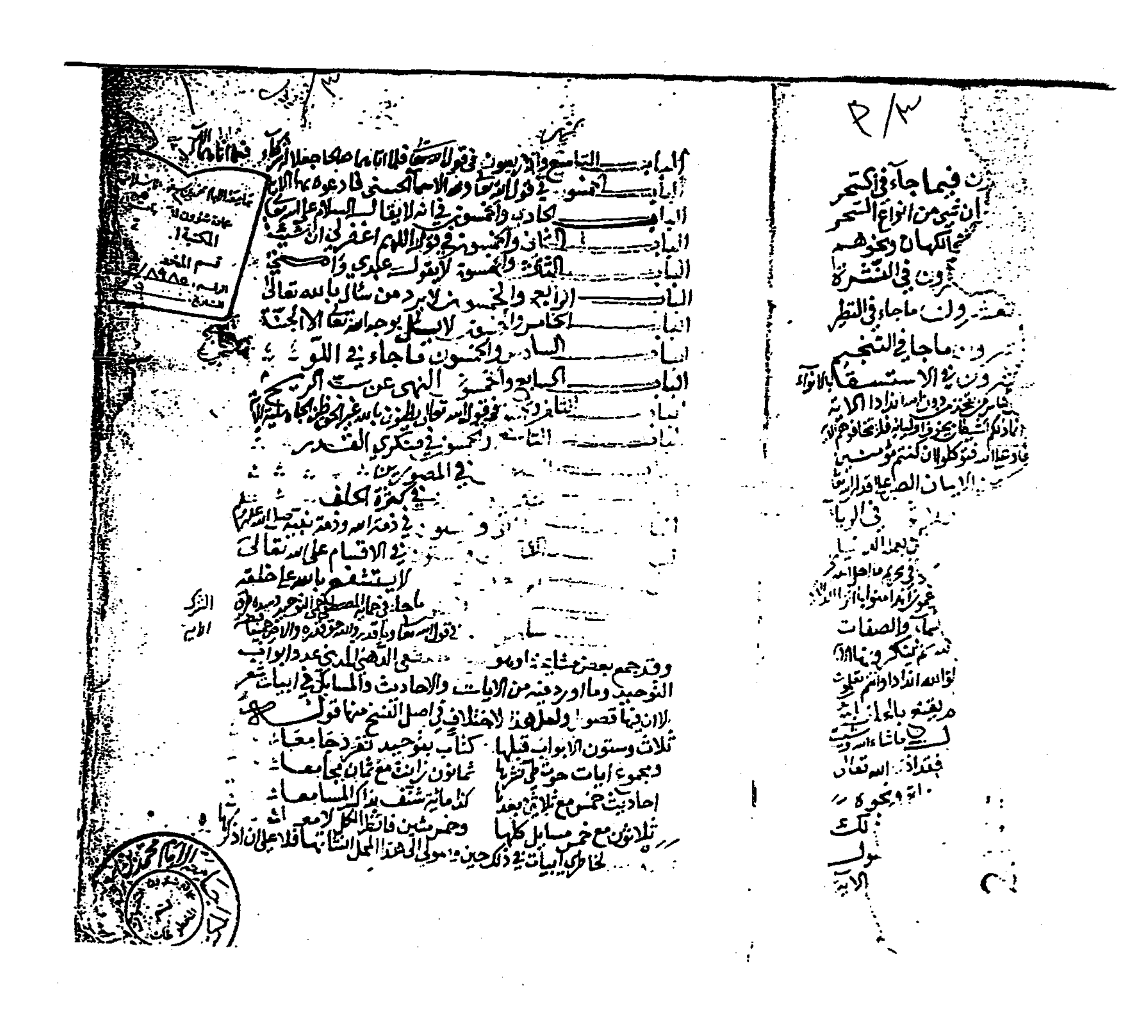
٦ـ عرّفنا بالغريب من الأماكن والكلمات والمذاهب والفرق.

٧ـ التزمنا في كتابة النص قواعد الإملاء الحديثة، وأهملنا تماماً الإشارة إلى ما يخالفها في الأصل.

٨ـ ميّزنا التصويبات والاستدراكات في النص بين معكوفين هكذا[ ].

٩ـ ميزنا متن كتاب التوحيد عن الشرح بهلالين هكذا ( ).

نماذج المخطوطات



اللوحة الأولى من النسخة [ر]، وقد ظهر التآكل في صفحاتها الأولى

أفعالهم على مقتضى قضائي فيكون فعل العبد على مقتضى حكم المولى وإنما
يخرج فعل العبد عن حكم المولى إذا كان مغلوباً والغالب لا يخرج شيء عن
حكمه وهو الله وحده وقد فهم بعض الصالحين هذا المعنى فعمل لما أراد
الله من الخلق فقال ما أنهم عليه يعني الإرادة الكونية لا الشرعية وقد قال
ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
تسبيحهم إن كفر الكافر تسبيح وتقديس والمعنى في ذلك أنه أمر جرى بقدر
الله وإرادته الكونية مع ما فيه من مخالفة أمره الشرعي وتعدي حدوده الدينية
وهذا دليل على سعة ملكه تعالى وبديع حكمه وانفراده تعالى السابق في إلزام
التسليم لأمره الشرعي والإقرار بالعجز عن دركه وذلك كما سيأتيه قريباً أنه
ما من شيء إلا وهو يعبد الله سبحانه كما يجب للمولى على عبده ويسبح كما سبق
بحمده ويشهد لذلك من كلام العرب قول زيد بن عمرو بن نفيل وقيل ابن ورقة
سبحان ذي العرش سبحاناً يدوم له وقبلنا سبح الجودي والجمد
وأجوذ وأي جبلان بالحجاز فإنه من لم يسبح تسبيح وإن سبح تسبيحه
دلالة وقد ذكر هذا القول في الآية محيي السنة أبو الحسين البغوي رحمه الله تعالى
في تفسيره **قال** الحافظ ابن العربي رحمه الله تعالى وأهل اللغة ظنوا أن
تفسير العبادة هنا الطاعة ورأوا أن بعض الخلق لا يطيعون الله فطلبوا
للآية معنى غير معناها ولو عقلوا معنى ذلك وفهموا أيضاً معنى السجود كما قال
سبحانه ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً كما قال زيد الخيل
رضي الله عنه بجمع تضل البلق في حجراته ترى الأكم فيه سجداً للحوافر فلما
يكفر بقوله بمخالفة أمر الله الشرعي ودينه الذي ارتضى لعباده فأرسل
رسله وهو مع ذلك جار بقضاء الله وقدره فلم يخرج شيء عن ملكه تعالى
ولا عن حكمه الكوني فجعل رحمه الله تعالى معنى العبادة في هذه الآية بمعنى
العبادة اللغوية والإرادة القاهرة لا الشرعية الأمرية كقوله تعالى وهو
القاهر فوق عباده أي الذي خضعت له الرقاب وذلت له الجبابرة الصعاب
وقهر كل شيء ودانت له الخلائق وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه الأشياء

كلها

قوله والمعنى الصحيح وما خلقت
الجن والإنس إلا ليجري أفعالهم
على مقتضى قضائي إلخ فأقول
انظر إلى هذا الذي يسمي
وعلى كلامه بمقتضى هذا القول
الباطل إن المعاصي عبادة
سبحانك إنه كذب على الله من
رضي بهذا القول وحكاه في
معنى هذه الآية الكريمة قال
تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا
أولئك يعرضون على ربهم ويقول
الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا
على ربهم ألا لعنة الله على
الظالمين وأما ما نسبه
إلى ابن عباس من قوله كفر
الكافر تسبيح فهذا كذب عظيم
على ابن عباس وافتراء وحاشا
ثم حاشا أن يجعل ما يوجب
الخلود في النار الذي لا
يرضاه الله تعالى لعباده
الغفلة عبادة وهذا كله يتورع عن
الحق نعوذ بالله من
ذلك

الصفحة ٣١/ ب من النسخة [ر]، وفي طرتها تعقب لأحد العلماء

لكن تكون الروم وهم قوم معروفون اكثر الكفرة في ذلك الوقت

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى

فقلت يا رسول الله ان كنت لاظن حين انزل الله هو الذي ارسل رسوله

بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ان ذلك

تام قال انه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة

فتوفي كل من في قلبه مثقال ذرة او حبة من خردل من ايمان

فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين ابائهم فنسال الله

الحماية والله الموفق تم الجزء الاول من شرح التوحيد

المسمى بفتح الحميد في شرح التوحيد تاليف العالم الفاضل

...

الناصري العمري التميمي

ولله الحمد والمنة

ويتلوه ان شاء الله الباب الثالث والعشرون

آخر المجلد الأول من النسخة [ر]

هذا فتح الحميد في شرح التوحيد
بخط مؤلفه وجامعه
الفقير إلى ربه الغفور عثمان بن عبد العزيز
بن منصور الناصري عامر العمروي التميمي
النجدي الحنبلي سأل مولاه القبول
والعفو عن الخطأ والزلل
صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم وحسبنا الله
ونعم الوكيل

[illegible]

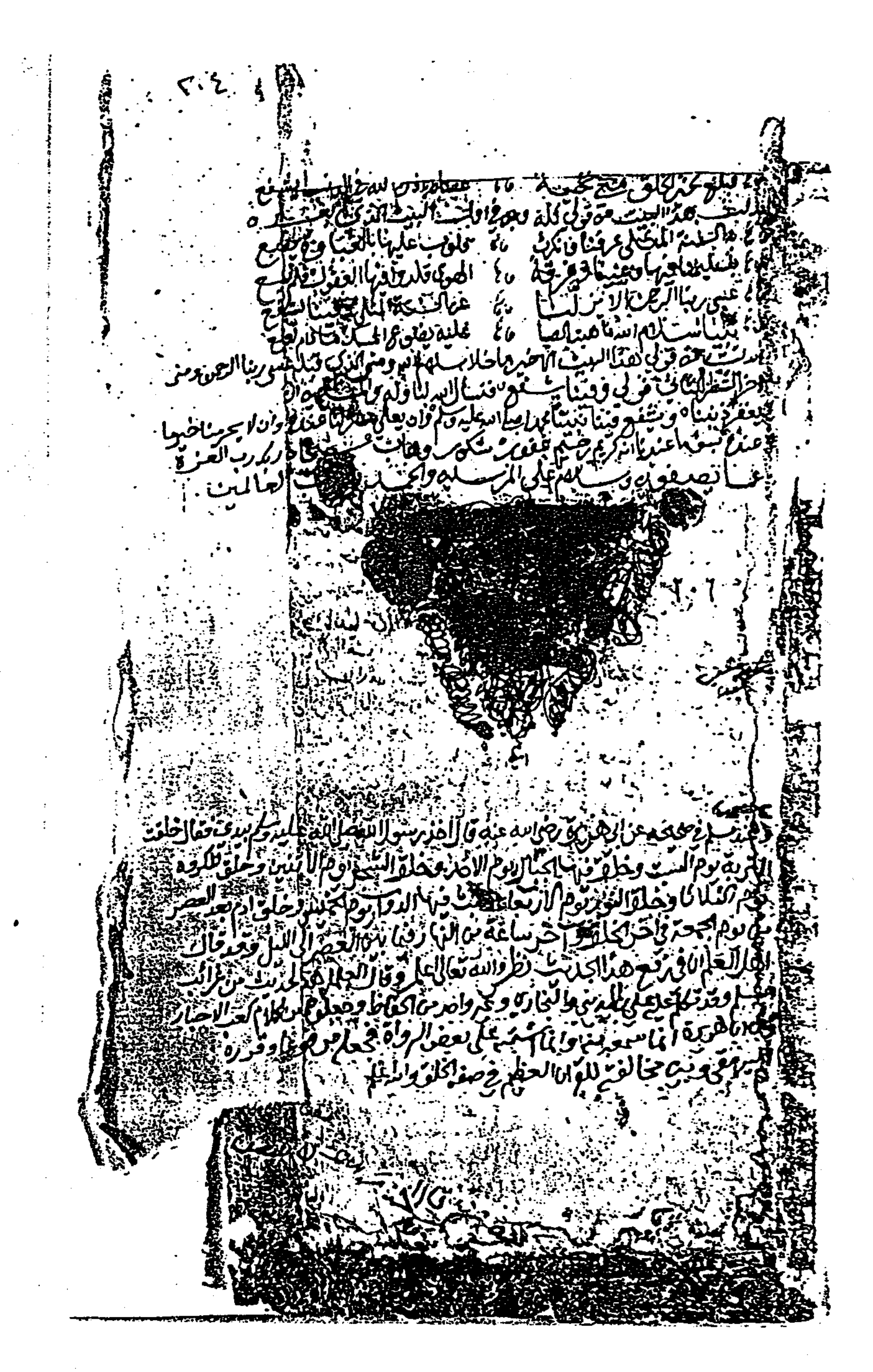
...ذلك في يوم القيامة حكمهم التقليد ... سيدهم في الدنيا والعظة ... يظهر فيه سود ... الكفر ...
... ولا شافع ولا مشفع قال النووي ... الثاني لأن قد ... الأول

تأملت هذا الشرح فرأيته شرحاً ... أجاد فيه مؤلفه وأوضح وأفاد كان الله ...
غير أنه ذكر الشيخ محمد بن سلوم وحاله في الاعتقاد معلوم فلو أعرض عن ذكره لكان ...
عندنا ... وفاق ... كاتبه عبد الرحمن بن حسن عفا الله عنه ونقله من خط ... محمد
... وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

تقريظ الشيخ عبدالرحمن بن حسن بخط ابن نصر الله



الصفحة ١١/ أ من النسخة [ك]، بخط المؤلف



آخر النسخة [ك] بخط المؤلف

هذا فتح الحميد شرح التوحيد مختصر جامع
ومؤلفه الفقير إلى ربه الغفور عثمان بن عبد العزيز
بن منصور الناصري العمري التميمي النجدي
الحنبلي يسأل من مولاه القبول والعفو
عن خطأه والزلل وصلى الله على نبينا
محمد وآله وصحبه وسلم ولا
حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
وحسبنا الله ونعم الوكيل

ملك الفقير إلى الله عبد الرحمن بن عبد الكريم
ابن الشيخ عثمان بن منصور

غلاف النسخة [م] وعليه تقريظ الشيخ عبدالرحمن بن حسن
بخط يده وتنبيه ابن بشر إلى كون هذه النسخة مسودة

الرامو ز الثاني

وهو الصفحة ٤ من النسخة المرموز لها بالحرف ا

الرامو ز الثالث

وهو الصفحة الأخيرة من النسخة المرموز لها بالحرف ا

نماذج من مسودة آل تيمية في أصول الفقه بخط ابن منصور

فهرس المجلد الأول

أولاً: فهرس الدراسة

الموضوع رقم الصفحة